الشفاعة

فى الفكر الإسلامى

دكتـوره
منـال سمير الرافعى
أستاذ مساعد بقسم العقيدة والفلسفة



مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

تعد الأمور الغيبية من السمعيات التى لايستطيع العقل معرفة حقيقتها ، وإنما يكون طريق ثبوتها القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، وليس فى مقدور العقل الإستقلال بإدراكها مالم يرد من الشرع مايثبتها ويوضحها ، وإن كان العقل لاينكرها .

وعلى الرغم من ذلك فقد شغل الفكر الإسلامى بهذه الأمور الغيبية محاولاً الوصول إلى معرفة كنهها وحقيقتها وتفسيرها علما بأنها تخرج عن نطاق العقل الإنسانى لأنها غيب محجوب من شؤون الآخرة لايستطيع العقل أن يحيط باسرارها ولامجال للعقل لإثباتها ، ويجب الإيمان بها وتصديقها كما جاءت فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

ولعل من الأمور الغيبية التى كثر حولها الخلاف والنقاش بين العلماء والمفكرين المسلمين موضوع الشفاعة ولمن تكون فى يوم القيامة حين يقوم الناس فيه لرب العالمين للسؤال والحساب والثواب والعقاب ، ذلك اليوم الذى يقضيه الخلائق فى الحشر ويشتد بهم الهول فى ساحة العدل ويطول بهم الموقف فيتمنون تعجيل الحساب لخلاصهم من هول مايلقون ، وحينذاك يلجأون إلى من يشفع لهم ويخلصهم من ذلك الموقف العصيب .

وقد جاء ذكر الشفاعة فى كثير من آيات القرآن الكريم يفيد بعضها نفى الشفاعة ، وبعضها الآخر ينص على إثباتها ، كما وردت أحاديث نبوية كثيرة تثبت الشفاعة ولاتنفيها .

ومن هنا كان اختلاف العلماء والمفكرين - قديماً وحديثاً - حول موضوع الشفاعة ، والخلاف قديماً لم يكن حول ثبوتها وإنما كان الخلاف حول ثبوتها لمن ؟ أى للمؤمنين جميعاً ؟ أم للمؤمنين المذنبين فقط ؟ ، أما حديثا فقد اتسعت هوة الخلاف فشمل نفى الشفاعة مطلقاً فى الآخرة لأنها لو ثبتت لأدى ذلك إلى التهاون بأوامر الدين ونواهيه والتواكل والأعتماد عليها .

لذا فما أحوجنا اليوم - وقد اضطربت الأقوال وتباينت الآراء - لتوضيح جوانب هذه القضية التى شغلت الفكر الإسلامى قديماً وحديثاً ، والتى ذهب العلماء فى تفسيرها مذاهب شتى ، وخاض المفكرون فى جوازها أوعدمه اتجاهات مختلفة .

ولما كان أكثر الناس لايعلمون وجه الحق فيها فقد كانت هذه الدراسة رغبة قوية للبحث فيها وبيان آراء العلماء وتوضيح أوجه الخلاف بينهم فى هذه المسألة تبعاً لأختلاف مذاهبهم ومناهجهم .

ويرتكز منهج البحث فى هذه الدراسة على آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة التى وردت فى موضوع الشفاعة ثم عرض الآراء المختلفة حول هذا الموضوع حيث يتم بيان أوجه الخلاف وأدلة العلماء التى أحتجوا بها ثم مناقشتها والرد عليها بالأدلة المستمدة من الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة .

مفهوم الشفاعة

الشفاعة لغة : من الشفع الذى هو ضد الوتر ، فعندما يقال (شفع) الشىء شفعاً ضم مثله إليه وجعله زوجاً يقال كان وتراً فشفعه بآخر أى قرنه به [١].

فالشفاعة تدل على الانضمام إلى آخر كمل تدل على حاجة الإنسان إلى الغير فكأن صاحب الحاجة كان فرداً فصار الشفيع له شفعاً .

أما الشفاعة فى الإصطلاح

فهى أن يلجأ صاحب الحاجة إلى مقرب عند ذى سلطان ليقضى له حاجته [٢] .

وقيل هى «مسألة الغير أن ينفع غيره أو يدفع عنه مضره » [٣] وقيل أنها سؤال الخير من الغير للغير [٤] .

وقيل أن الشفاعة هى الإلتجاء إلى الله تعالى فى أن يعفو عن بعض عصاة الموحدين ويدخلهم الجنة [٥].

فالشفاعة تعنى سؤال الخير للغير سواء كان هذا السؤال فى الآخرة كشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض المؤمنين فيدخلون الجنة ، أو فى الدنيا كشفاعة المؤمن لأخية المؤمن بأن يزيل له كربته أو يقضى له حاجته مما يربط المؤمنين بعضهم ببعض .

وللشفاعة فى الآخرة أربعة أركان : المشفوع إليه وهو الله ، والشفيع وهو الرسول ، المشفوع له وهو المؤمنون والمشفوع فيه وهو الكبيرة .

وموضوعها : وصول المشفوع له إلى حاجته وهى إما طلب نفع أو دفع ضرر [٦] .

أما فائدتها : فهى رفع مرتبة الشفيع والدلالة على منزلته من المشفوع إليه ، فتكون الشفاعة لإظهار كرامة الشفيع ومنزلته عند ربه تنفيذاً للإرادة الإلهية عقيب دعائه وطلبه من الله [٧] .

---

١ ـ لسان العرب جـ ١٠ ص ٥٠ ، المنجد صـــ٣٩٥
٢ ـ الشرح الجديد لجوهرة التوحيد الشيخ محمد العدوى صـــ١٤٠
٣ ـ شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار صـــ٦٨٨
٤ ـ تحفة المريد على جوهرة التوحيد الشيخ البيجورى صـــ١١٦
٥ ـ التاج الجامع للأصول الشيخ منصور ناصف صـــ٣٩٢
٦ ـ شرح الأصول الخمسة ص٦٩٠
٧ ـ شرح الأصول الخمسة ص٦٨٩ ، العقيدة الإسلامية السيد سابق ص٢٧٥ .

والشفاعة قد تنسب إلى الله سبحانه وتعالى كما فى قوله تعالى : «أم أتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لايملكون شيئاً ولايعقلون قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون» (١) .

فيكون معناها قبول الشفاعة أو العفو فالحكم له سبحانه وتعالى وهو العفو الغفور قال تعالى «أن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء» (٢) .

فشفاعة المولى عز وجل عبارة عن عفوه فإنه تعالى يشفع فيمن قال لا إله إلا الله وأثبت الرسالة للرسول الذى أرسل إليه وأن أرتكب ذنباً من الذنوب ، فيتفضل الله تعالى عليه بعدم دخوله النار بلا شفاعة أحد ولكن رحمة منه وتفضلاً (٣) .

قال عز وجل «قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله أن الله يغفر الذنوب جميعاً أنه هو الغفور الرحيم » (٤) .

وقد تنسب الشفاعة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم - وتختص به وهى الشفاعة العظمى ، وقد تكون له - عليه السلام ولغيره من الأنبياء عليهم جميعاً السلام كما فى قوله تعالى «يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولاً » (٥) .

وقد اختص الرسول صلى الله عليه وسلم بأمور ثلاثة :

١ - كونه شافعاً - أى طالب الخير من الله للخلائق .

٢ - كونه مشفعاً - أى مقبول الشفاعة

٣ - كونه صلى الله عليه وسلم مقدماً فى الشفاعة على غيره من جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين ، حيث يفتح للانبياء باب الشفاعة بالشفاعة العظمى فى فصل القضاء . (٦) .

ولعل هذا هو المقام المحمود الذى وعد الله سبحانه وتعالى به نبيه فى قوله «عسى أن يبعثك ربك

---

١ - سورة الزمر أية ٤٣ - ٤٤ .
٢ - سورة النساء أية ١١٦ .
٣ - تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص١١٦ .
٤ - سورة الزمر أية ٥٣ .
٥ - سورة طه أية ١٠٩
٦ - تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص١١٦

مقاماً محموداً » [١] أو هو أول المقام المحمود وآخره استقرار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار ، فهو صلى الله عليه وسلم شفيع الخلائق صاحب المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون والآخرون ، فهو أعظم الشفعاء قدراً وأعلاهم جاهاً عند الله فلاجاه لمخلوق عند الله أعظم من جاهه ، ولا شفاعة أعظم من شفاعته صلى الله عليه وسلم . [٢]

أما أنواع الشفاعة فهى :-

١ - للاراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب

٢ - فى أدخال قوم الجنة بغير حساب .

٣ - فيمن استحق دخول النار أن لايدخلها .

٤ - فى أخراج الموحدين من النار .

٥ - فى زيادة الدرجات فى الجنة لأهلها .

٦ - فى تخفيف العذاب ممن استحق الخلود فى النار [٣] مثل أبى طالب فقد روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال فى شأن عمه أبى طالب «لعلة تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من نار» [٤] .

شروط الشفاعة

الشفاعة ليست حقاً لأحد ، وليست نهباً لكل من يطمع فيها فانتفاع العباد بها موقوف على شروط وله موانع ، إذ هى فى الحقيقة عطاء من الله سبحانه وتعالى لعباده من المؤمنين وقد قيدها عز وجل بقيدين : -

الأول : أذنه تعالى للشافع أن يشفع كما قال تعالى [من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه] [٥] وإذنه تعالى لا يصدر إلا إذا رحم عبده الموحد المذنب ، فإذا رحمه تعالى أذن للشافع أن يشفع له [٦] .

---

١ - سورة الإسراو اية ٧٩ .
٢ - قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة للشيخ ابن تيمية ص ١٠ .
٣ - جوهرة التوحيد ص ١٤١
٤ - فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ٧ ص٤٠
٥ - سورة البقرة أية ٢٥٥
٦ - كتاب التوحيد الشيخ محمد عبدالوهاب ص٨٤ .

فالله لايشفع عنده أحد إلا بإذنه فالأمر كله له وحده قال تعالى [قل أن الأمر كله لله ...] (١)

فتكون الشفاعة بأذن من الله سبحانه وتعالى ، قال عز وجل [يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولاً] (٢) وقال تعالى [ولاتنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له] (٣) .

وعلى ذلك فالشفيع لابد أن يكون بإذن من الله سبحانه وتعالى قال عز وجل[ما من شفيع إلا بعد أذنه] (٤).

الثانى : رضاه عز وجل عمن أذن للشافع أن يشفع فيه كما قال تعالى [ولايشفعون إلا لمن أرتضى] (٥) فالأذن بالشفاعة له بعد الرضا ، ولايرضى الله بالشفاعة إلا لمن يستحقون العفو على مقتضى العدل الإلهى (٦) .

والذين يرضى الله شفاعتهم هم الموحدون بدليل قوله تعالى [لايملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً] (٧) وقيل للنبى صلى الله عليه وسلم ماعهد الله مع خلقه ؟ قال : «أن يؤمنوا ولايشركوا به شيئاً » (٨) .

وعلى ذلك فالشفاعة لله وحده قال تعالى [قل لله الشفاعة جميعاً] (٩) وليس لغيره أية شفاعة إلا بعد إذنه ورضاه سبحانه وتعالى .

الشفاعة بين النفى والإثبات

وردت فى القرآن الكريم آيات تفيد نفى قبول شفاعة الخلق بعضهم لبعض فى الآخرة وآيات أخرى تنص على إثباتها ، كما وردت أحاديث نبوية كثيرة تثبت الشفاعة ولاتنفيها .

أما الشفاعة المنفية فى القرآن الكريم والتى أبطلها الله سبحانه وتعالى فهى نوعان :

الأول : الشفاعة للكفار الذين هم مخلدون فى النار كما قال تعالى فى نعتهم [ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين

---

١ - سورة آل عمران آية ١٥٤ .
٢ - سورة طه آية ١٠٩
٣ - سورة سبأ آية ٢٣
٤ - سورة يونس آية ٣
٥ - سورة الأنبياء آية ٢٨
٦ - العقائد الإسلامية السيد سابق ص٢٧٥ ، كتاب التوحيد ص٨٤
٧ - سورة مريم اية ٨٧
٨ - تفسير القرطبى جـ ١ ص٤٢٠
٩ - سورة الزمر آية ٤٤

حتى أتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين] (١) فهؤلاء نفى عنهم نفع شفاعة الشافعين لأنهم كانوا كفاراً .

فالشفاعة للكفار بالنجاة من النار والاستغفار لهم مع موتهم على الكفر لاتنفعهم ولوكان الشفيع أعظم الشفعاء جاها قال تعالى [ماللظالمين من حميم ولاشفيع يطاع] (٢) وقال تعالى [انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه ولاخله ولاشفاعة والكافرون هم الظالمون] (٣) ونفى الشفاعة فى هذه الآيات هو نفى عن أهل الكفر والظلم والشرك (٤) .

أما النوع الثانى من الشفاعة المنفية فهى الشفاعة الوثنية التى كان المشركون وأمثالهم من أهل الكتاب يعتقدونها بأن يتخذ وا من دون الله شفعاء من الملائكة والأنبياء والصالحين ويصورون تماثيلهم فيستشفعون بها ويتخذونهم شفعاء ويتقربون بعبادتهم إلى الله ليشفعوا لهم (٥) قال تعالى [أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لايملكون شيئاً ولايعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم .إليه ترجعون] (٦) فهذه الشفاعة التى أثبتها المشركون بالله وتشفعوا للخالق بما لايملك ضرهم ولانفعهم بل لايملك لنفسه شيئاً هذه الشفاعة أبطلها الله عز وجل ونفاها القرآن الكريم نفياً مطلقاً .

وقد ذكر ابن كثير (٧) عند تفسيره لقوله تعالى [أم اتخذوا من دون الله شفعاء] أن الله تعالى يقول ذاما المشركين فى اتخاذهم شفعاء من دون الله وهم الأصنام والأنداد التى اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولابرهان حداهم على ذلك وهى لاتملك شيئا من الامر بل وليس لها عقل تعقل به ولاسمع تسمع به ولابصر تبصر به هى جمادات أسوأ حالاً من الحيوان بكثير ، ثم قال : قل : أى يامحمد لهؤلاء الزاعمين أن ما اتخذوه شفعاء لهم من عند الله تعالى أخبرهم أن الشفاعة لاتنفع عند الله إلا لمن إرتضاه وأذن له فمرجعها كلها إليه هو المتصرف فى جميع ذلك .

---

١ - سورة المدثر آية ٤٢ - ٤٨
٢ - سورة غافر آية ١٨
٣ - سورة البقرة آية ٢٥٤
٤ - قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة لأبن تيمية ص ١٦ ، ص ١٧ ، الفصل فى الملك والأهواء والنحل لابن حزم حـ ٤ ص ٥٣ .
٥ - تفسير القرآن الحكيم رشيد رضا حـ ١ ١٢١ .
١ - سورة الزمر آية ٤٣ - ٤٤
٢ - تفسير ابن كثير حـ ٤ ص٥٥

وقال سيد قطب [١] فى قوله تعالى [أم اتخذوا من دون الله شفعاء] وهو سؤال للتهكم والسخرية من زعمهم أنهم يعبدون تماثيل الملائكة ليقربوهم إلى الله زلفى (أو لو كانوا لايملكون شيئاً ولايعقلون) يعقبه تقرير جازم بأن لله الشفاعة جميعاً ، فهو الذى يأذن بها لمن يشاء على يد من يشاء فهل مما يؤهلهم للشفاعة أن يتخذوا من دون الله شركاء ؟ .

فالله سبحانه وتعالى أبطل شفاعة من اتخذ شفيعاً يزعم أنه يقربه إلى الله وهو يبعده عنه وعن رحمته ومغفرته لأنه جعل لله شريكا يرغب إليه ويرجوه ويتوكل عليه ويحبه كما يحب الله تعالى قال عز وجل فى حقهم [ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه تعالى عما يشركون] [٢] أي : أتخبرون الله أن له شريكا فى ملكه أو شفيعاً بغير إذنه ، والله لايعلم لنفسه شريكا فى السموات ولا فى الأرض (سبحانه وتعالى عما يشركون) أى هو أعظم من أن يكون له شريك [٣] .

فهذه الشفاعة أبطلها الله ورسولة وذم المشركين عليها وكفرهم بها فقال تعالى [وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولاشفيع لعلهم يتقون] [٤] .

وقال تعالى [الله الذى خلق السموات والأرض ومابينهما فى ستة أيام ثم أستوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولاشفيع أفلا تتذكرون] [٤] وقال تعالى [واتقوا يوماً لاتجزى نفس عن نفس شيئاً ولايقبل منها عدل ولاتنفعها شفاعة ولاهم ينصرون] [٥] . إلى غير ذلك من الآيات النافية للشفاعة .

أما الشفاعة الثابتة فى القرآن الكريم فهى الشفاعة لأهل التوحيد والإخلاص قال تعالى [لايملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً] [٧] وقيل للنبى صلى الله عليه وسلم ماعهد الله مع خلقه ؟ قال «أن يؤمنوا ولايشركوا به شيئاً» [٨] فالشفاعة أنما تكون للمؤمنين الذين اتخذوا عند الله عهداً ،

---

١ - فى ظلال القرآن حـ٥ ص٣٥٥ .
٢ - سورة الزمر آية ١ - ٣
٣ - تفسير القرطبى حـ ٤ ص ٣١٦١
٤ - سورة الأنعام آية ٥١
٥ - سورة السجدة آيه ٤
٦ - سورة البقرة آية ١٢٣
٧ - سورة مريم آية ٨٧
٨ - تفسير القرطبى حـ ١ ص٤٢٠

قال تعالى [قل لله الشفاعة جميعاً] (١) فدلت الآية على أن الشفاعة له وحده فالله وحده صاحب العفو والصفح وهى لاتقع إلا إذا أذن للشافع أن يشفع ورضى عمن أراد رحمته ممن أذنب من الموحدين فأختصت الشفاعة لأهل التوحيد والإخلاص .

وهذه الشفاعة ثابتة بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أما القرآن الكريم فقوله تعالى «عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً»(٢) وقد ورد فى تفسير الآية أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة للناس يوم القيامة (٣) .

وقوله تعالى [ولسوف يعطيك ربك فترضى] (٤) وقيل أن المراد الشفاعة فى جميع المؤمنين فقد روى عن على بن أبى طالب أنه قال : ان أرجى آية فى كتاب الله قوله تعالى «ولسوف يعطيك ربك فترضى» وقيل لما نزلت هذه الآية قال النبى صلى الله عليه وسلم «إذا والله لا أرضى وواحد من أمتى فى النار » (٥) .

والشفاعة ثابتة بالأحاديث النبوية الشريفة ففى رواية الصحيحين وغيرهما أن النبى صلى الله عليه وسلم يسجد يوم القيامة ويثنى على الله تعالى بثناء يلهمه يومئذ فيقال له أرفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع . (٦)

وكذلك روى عن أبــى هريــرة رضــى الله عنه أنه قال : «قلت يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قـال : لقد ظننـت يا أبا هريـرة أن لايسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا اللـه «خالصاً من نفسه» (٧) .

فتلك الشفاعة لأهل الأخلاص بأذن الله ولاتكون لمن أشرك بالله ، فالله سبحانه وتعالى هو الذى يتفضل على أهل الأخلاص والتوحيد ويغفر لهم بواسطة دعاء الشافع الذى أذن له أن يشفع ليكرمه

---

١ - سورة الزمر آية ٤٤ .
٢- سورة الإسراء آية ٧٩
٣ - تفسير القرطبى حـ٥ ص٤٠٣٨
٤ - سورة الضحى آية ٥
٥ - تفسير القرطبى حـ١٠ ص٧٤٣٤
٦ - صحيح مسلم بشرح النووى حـ٣ ص٥٣ ، صحيح البخارى حـ٨ ص١١٤ .
٧ - فتح البارى شرح صحيح البخارى حـ١١ ص ٤١٨ .

بذلك وينال المقام المحمود (١) .

وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته ، حلت له شفاعتى يوم القيامة» (٢) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما «أن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً ، كل أمة تتبع نبيها تقول : يافلان أشفع ، حتى تنتهى الشفاعة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود» (٣) .

وعن أنس قال حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم قال : «إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض فيأتون آدم فيقولون له أشفع لذريتك فيقول لست لها ولكن عليكم بابراهيم عليه السلام فأنه خليل الله فيأتون إبراهيم فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله فيؤتى موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى عليه السلام فإنه روح الله وكلمته فيؤتى عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم فأوتى فأقول أنا لها » (٤).

وذهاب البشر إلى الأنبياء تدرجاً حتى يصلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحكمه اقتضاها رب العالمين منها أثبات المقام المحمود الذى وعده به ، ومنها أظهار فضل المصطفى صلى الله عليه وسلم ورفعة منزلته وتصديقاً لقوله صلى الله عليه وسلم «لكل نبى دعوة دعاها لأمته وأنى أختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة فهى نائلة أن شاء الله من مات من أمتى لايشرك بالله شيئاً » (٥)

فالشفاعة ثابتة شرعاً بالكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة - كما سبق - كذلك فهى جائزة عقلاً ودليل ذلك جواز غفران غير الكفر من الذنوب عقلاً وسمعاً بلا توبة ولا شفاعة فبالشفاعة أولى (٦) قال تعالى [أن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء] (٧) .

---

١ - الإيمان لابن تيميه ص٦٨ .
٢ - فتح البارى شرح صحيح البخارى حـ٨ ص٣٩٩
٣ - فتح البارى شرح صحيح البخارى حـ٨ ص٣٩٩
٤ - صحيح مسلم بشرح النووى حـ٣ ص٦٨ .
٥ - صحيح الأمام مسلم بشرح النووى حـ٣ ص٧٢ .
٦ - شرح العقائد النسفية ص١٢٢ ، الإرشاد للجوينى ص٣٩٣
٧ - سورة النساء أية ٤٨

هذا وتجدر الإشارة إلى أنه ليس معنى الشفاعة أن الله سبحانه وتعالى يرجع عن أرادة كان أرادها لأجل الشافع ، وأنما هى إظهار كرامة للشافع بتنفيذ الإرادة الأزلية عقيب دعائه ، وليس فيها أيضاً مايقوى غرور المغرورين الذين يتهانون بأوامر الدين ونواهية أعتماداً على شفاعة الشافعين ، بل فيه أن الأمر كله لله وبإذن الله للشافع واذن الله تعالى غيب لايعلمه غيره ، فلاينفع أحداً فى الآخرة إلا طاعته ورضاه [١] .

موقف الفرق الإسلامية من الشفاعة

تبين - مما سبق - ثبوت الشفاعة بالكتاب الكريم وبالسنة النبوية المطهرة . وأنها جائزة عقلاً ، وأن لها شروطاً يجب توافرها ، وهى إذن الله تعالى للشافع ورضاه تعالى عمن يشفع لهم ، فإذا ماتحققت هذه الشروط فمن هم المشفوع لهم ؟ ولمن تكون الشفاعة ؟ .

أتكون للمؤمنين الموحدين ؟

أو تكون للمؤمنين المذنبين ؟

أوهى لأهل الكبائر من المؤمنين ؟

اتفقت الفرق الإسلامية على أن لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم شفاعة فى الآخرة وهى جائزة عقلاً ، وواجبة شرعاً بالكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ولكنهم أختلفوا فى نوع هذه الشفاعة ولمن تكون [٢] ؟ هل هى شفاعة لزيادة درجات المؤمنين فى الجنة ؟ أو هى شفاعة لعدم دخول العصاة من المؤمنين النار ؟ أو هى شفاعة لإخراج الموحدين من النار؟ .

أى أنهم أختلفوا فى هل تكون الشفاعة للمؤمنين جميعاً ؟

أو تكون للمؤمنين المرتكبى الصغائر من الذنوب دون الكبائر ؟

أوتكون للمؤمنين مرتكبى كبائر الذنوب؟

فذهب أهل السنة إلى جواز الشفاعة فى حق المؤمنين جميعاً ، مرتكبى صغائر أو كبائر الذنوب وتأثيرها يكون فى إسقاط العذاب عن المؤمنين المذنبين ، ويقوم مذهبهم هذا على جواز غفران الله تعالى للذنوب .

---

١ - تفسير القرآن الحكيم رشيد رضا جـ ١ ص٣٠٨ ، جوهرة التوحيد ١٤٣ .

٢ - تفسير الفخر الرازى جـ٣ ص ٥٥ ، ص٥٦ .

وخالفت المعتزلة جمهور المسلمين من أهل السنة فقالوا بجواز الشفاعة للمؤمنين مرتكبى الصغائر من الذنوب فقط دون مرتكبى الكبائر وتأثيرها فى أن تحصل زيادة من المنافع على قدر ما استحقوه ، ومذهبهم هذا يقوم على عدم جواز غفران الله تعالى للذنوب (١) .

ومعنى ذلك أن المعتزلة وأهل السنة متفقون على جواز الشفاعة للمؤمنين مرتكبى الصغائر الذين وعدهم الله بالثواب أما المؤمنون الذين ارتكبوا الكبائر والذين توعدهم الله تعالى بالعقاب فعند المعتزلة لاتجوز لهم شفاعة وهم مخلدون فى النار ، أما عند أهل السنة فهى تجوز للمؤمنين جميعاً سواء كانوا مرتكبى صغائر أم كبائر الذنوب .

وقبل الحديث عن موقف أهل السنة والمعتزلة من الشفاعة لابد أولاً من توضيح موقفهم من مغفرة الذنوب باعتبارها الأساس الذى قام عليه رأى كل منهما فى موضوع الشفاعة .

مذهب المعتزلة فى مغفرة الذنوب

ذهبت المعتزلة إلى عدم جواز الشفاعة لمن أرتكب كبيرة ومات ولم يتب منها ، وقالوا أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض والتفضل وهو معنى آخر وراء الثواب ، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود فى النار لكن يكون عقابة أخف من عقاب الكفار ، وسموا هذا النمط وعدا ووعيداً (٢) .

فصاحب الكبيرة - عندهم - إذا مات ولم يتب يسمى مرتكبها فاسقاً ، والفاسق ليس مؤمنا ولا كافراً بل هو فى منزلة بين المنزلتين وهو مخلد فى النار .

وهذا الرأى يتصل برأيهم فى الإيمان فهو عندهم ليس مجرد تصديق بالقلب بل هو عمل بالجوارح ، فالعمل داخل فى حقيقة الإيمان ، ثم ربطوا الثواب والعقاب بالأعمال ، فالتكليف لامعنى له إلا إذا كان هناك وعد بالثواب ووعيد بالعقاب والله تعالى يثيب المطيع ويعاقب مرتكب الكبيرة ، لأن صاحب الكبيرة إذا مات ولم يتب لايجوز أن يعفو الله عنه ، لأنه أو عد بالعقاب على الكبائر وأخبر به ، فلو لم يعاقب لزم الخلف فى وعيده والكذب فى أخباره ، ولأن الطاعات والأمر بها ، والمعاصى والنهى عنها وضعت لتحقيق غايات فمن لم يطع فقد أخل بهذه الغايات فاستوجب العقاب وهذا هو معنى أصلهم

---

١ - مقالات الإسلاميين حـ٢ ص١٤٧ ، ص١٤٨ .
٢ - الملل والنحل للشهر ستانى حـ١ ص٤٥

الذى وضعوه «الوعد والوعيد» ويعنون به أنه يجب على الله تعالى الثواب على الطاعات والعقاب على المعاصى [١] .

وقد «وعد الله تعالى المطيعين بالثواب ، وتوعد العصاة بالعقاب وهو تعالى يفعل ماوعد به وتوعد عليه لامحالة ، ولايجوز عليه الخلف والكذب» [٢] .

وبناءاً على ذلك فصاحب الكبيرة الذى مات ولم يتب منها لايجوز أن يعفو الله تعالى عنه ، وهو مخلد فى النار حتى ولو صدق بوحدانيته تعالى ، وآمن برسله لأنه تعالى توعد بالعقاب مرتكبى الكبائر ، وأخبرنا بذلك ، ولو لم يعاقبة للزم الخلف فى وعيده والكذب فى أخباره وهذا محال ، لأن العبد إذا دخل الجنة بمجرد لا إله إلا الله ، يكون هذا باعثاً له على الأعتماد والغرور ، وارتكاب المعاصى والفجور ، وهذا الأعتقاد يخرج الناس عن ربقة الملة ، وقيد الشريعة [٣] .

وقد استدلوا على مذهبهم هذا ببعض الآيات وهذه الآيات هى آيات الوعيد مثل قوله تعالى [ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين] [٤] .

يقول القاضى عبدالجبار «أن الله تعالى أخبر أن العصاة يعذبون بالنار ويخلدون فيها والعاصى أسم يتناول أسم الكافر والفاسق جميعاً فيجب حمله عليها ، لأنه تعالى لو أراد أحداهما دون الآخر لبينه ، فلما لم يبينه دل على ماذكرناه » [٥] .

وكذلك قوله تعالى [إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون] [٦] «ووجه الإستدلال به هو أن المجرم أسم يتناول الكافر والفاسق جميعاً ، فيجب أن يكونا مرادين بالآية ، معذبين بالنار لأنه تعالى لو أراد أحدهما دون الآخر لبينه ، فلما لم يبينه دل على أنه أرادهما جميعاً » [٧] .

كذلك استدلوا بقوله تعالى [ومن يعمل سوءاً يجز به] ونحو قوله تعالى [بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون] [٨] إلى غير ذلك من ايات الوعيد .

---

١ ـ شرح الأصول الخمسة ص٦١١
٢ ـ شرح الأصول الخمسة ص١٣٥
٣ ـ مقالات الإسلامين حـ٢ ص١٦٧ ، الدين الخالص حـ٣ ص١٤١
٤ ـ سورة النساء أية ١٤
٥ ـ شرح الأصول الخمسة ص٦٥٧
٦ ـ سورة الزخرف أية ٧٤
٧ـ شرح الأصول الخمسة ص٦٦٠
٨ ـ سورة النساء أية ١٢٣
٩ ـ سورة البقرة أية ٨١

وإذا كانت المعتزلة تمسكت بأيات الوعيد على أنها تؤيد مذهبهم فى عدم جواز العفو عن مرتكب الكبيرة الذى مات ولم يتب منها وأنه مخلد فى النار ، فما موقفهم من الآيات التى تصرح بجواز غفران الله تعالى الذنوب للعصاه الذين أرتكبوا كبائر ولم يتوبوا منها فقد قال تعالى [أن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء] (١) فقوله «مادون ذلك» عام يتناول الصغائر والكبائر ، وفى هذا مايدل على خلاف مذهب المعتزلة ، الذى يصرح بأن الله تعالى لايجوز أن يغفر الكبائر إذا لم يتب أصحابها منها .

وهنا نرى المعتزلة يلجأون إلى التأويل فيخصصون المغفرة بأصحاب الصغائر دون الكبائر ، لأن الله تعالى قال [أن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم] (٢) فشرط تعالى فى تكفير السيئات التى ليست كبائر ، أجتناب الكبائر ، فدل ذلك على أن أهل الصلاة فيما يفعلون من الكبائر إذا أصروا عليها يؤاخذون بها ، وبالصغائر جميعاً (٣) .

وكذلك قوله تعالى [قل ياعبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله أن الله يغفر الذنوب جميعاً] (٤) وهذه الآية تصرح بظاهرها أنه لامؤمن إلا ويغفر الله تعالى له ، وأن أرتكب الكبائر ولم يتب منها ، ولكن المعتزلة يرون أنه لايصح الأخذ بظاهر هذه الآية ، لأن ظاهرها يقتضى أن يغفر الله تعالى الذنوب كلها سواء أكانت للكفرة أو الفسقة ، وليس هناك من يقول بجواز غفران ذنوب الكفرة ، وكذلك لوجاز أن يغفر الله تعالى لمرتكب الكبيرة بدون التوبة ، لكان فى ذلك أغراء للإنسان بفعل القبيح ، وذلك لايحسن من الله تعالى ، وإذا كان لايجوز الأخذ بظاهر هذه الآية فلابد من التأويل ، والقول بأن الله تعالى يغفر الذنوب جميعاً بالتوبة (٥) .

ومن الملاحظ أن المعتزلة ذهبوا إلى قياس الغائب على الشاهد فى أفعال العباد أى بقياس أفعال الله تعالى على أفعالنا ، وقالوا بالتحسين والتقبيح ، فجعلوا ماهو حسن فى حق العباد حسنا فى حق الله ، وماهو قبيح فى حق العباد قبيحاً فى حق الله وهذا القياس فاسد لأمرين : أولا : لأن هذا

---

١ - سورة النساء أية ٤٨
٢ - سورة النساء أية ٣١
٣ - تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضى عبدالجبار ص ٩٣
٤ - سورة الزمر أية ٥٣
٥٤ - شرح الأصول الخمسة ص ٦٨٣ ، وتنزيه القرآن عن المطاعن ص٦٦٢

القياس لإفادة الظن .

ثانياً : لانه قياس مع الفارق إذ إن العباد واقعون تحت الشريعة فتقاس أفعالهم بمدى مراعاتهم ومخالفتهم لتلك الشريعة وليس كذلك الله تعالى إذ ليس فوقه مبيح أو حاظر .

وخلاصة ماتقدم أن المعتزله لما وجدوا هناك آيات تصرح بجواز غفران الله تعالى لذنوب العصاة الذين أرتكبوا كبائر ولم يتوبوا منها لجأوا إلى التأويل أما بتخصيص المغفرة بأصحاب الصغائر دون الكبائر ، وأما بالقول بأن الله تعالى يغفر الذنوب جميعاً بعد التوبة .

مذهب أهل السنة فى مغفرة الذنوب

ذهب أهل السنة إلى جواز غفران الله تعالى للذنوب ، وقالوا أن الثواب على الطاعة فضل من الله تعالى ، والعقاب على المعصية عدل منه ولايكون الثواب على الطاعة واجباً على الله ، وكذلك لايكون العقاب على المعصية واجباً على الله تعالى ، لأنه لايجب على الله تعالى شيء ، فمن مات من المؤمنين على أصراره على المعاصى ، لايقطع عليه بعقاب ، وأمره مفوض إلى ربه تعالى ، فإن عاقبه فذلك بعدله ، وأن تجاوز عنه فذلك بفضله ورحمته» (١) .

وقد استدل أهل السنة على جواز غفران الله تعالى للذنوب جميعاً صغيرة كانت أو كبيرة ، بدون التوبة ، ماعدا الشرك بالله تعالى ، استدلوا على ذلك بالنقل والعقل .

أما النقل فقوله تعالى [إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء] (٢) فأخبر تعالى أنه لايغفر الشرك وأخبر أنه يغفر مادونه لمن يشاء ، ولايجوز أن يراد بذلك التائب - كما تقول المعتزلة - لأن الشرك يغفره الله لمن تاب ، ومادون الشرك لم يجزم بمغفرته بل علقه بالمشيئة فقال (ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) ومغفرة التائب لاتعلق على المشيئة لإنها محض فضل فدل ذلك على أن المغفرة المذكورة فى الآية مغفرة قبل التوبة لأنها معلقة على المشيئة (٣) .

وكذلك قوله تعالى﴿ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله أن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾(٤) حكم تعالى بأنه يغفر كل الذنوب ، ولم يعتبر التوبة ولاغيرها ، وهذا يفيد القطع

---

١ - الأرشاد للأمام الجوينى ص٣٩٢

٢ - سورة النساء آية ٤٨

٣ - الشفاعة العظمى الفخر الرازى ص٨٦ ، أحكام عصاه المؤمنين أبن تيمية ص١٠١

٤ - سورة الزمر آية ٥٣

بغفران كل الذنوب [١] .

وقوله تعالى [وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم] [٢]

أى حال ظلمهم ، وذلك يدل على حصول الغفران قبل التوبة [٣]

وقوله تعالى [فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره] [٤] فمن كان له حسنات وسيئات فإن الله لايظلمه ومرتكب الكبيرة قد عمل خيراً وهو إيمانه وشراً وهو الكبيرة ، فيعاقب على الكبيرة ثم يثاب على إيمانه ، وقد يتفضل الله تعالى عليه ويحسن إليه بمغفرته ورحمته .

فعن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى «أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ، فيخرجون منها قد اسودوا ، فيلقون فى نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة فى جانب السيل ، ألم ترانها تخرج صفراء ملتوية » [٥] .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «يخرج من النار ، من قال لا إله إلا الله ، وفى قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير » [٦] .

ويقرر أهل السنة أن العقل يجيز أن يغفر الله تعالى لمرتكب الكبيرة الذى مات ولم يتب منها ، لأن الله تعالى يفعل مايشاء ولايجب عليه ثواب ولاعقاب .

فمرتكب الكبيرة إذا مات بلا توبه فأمره مفوض إلى الله بل هو فى مشيئة الله فلا يقطع له بعفو ولاعقاب ، ومع تقدير وقوع العقاب عدلاً منه سبحانه وتعالى فإنه يجوز عدم خلوده فى النار بل يخرج منها ، وإنما يجوز العفو له لئلا تكون الذنوب فى حكم المباحة ولا بالعقوبة لما سبق من أنه تعالى يجوز عليه أن يغفر الذنوب ماعدا الكفر [٧] .

---

١ ـ الشفاعة العظمى الإمام الفخر الرازى ص٨٠
٢ ـ سورة الرعد آية ٦
٣ ـ معالم أصول الدين للأمام الفخر الرازى ص١٢٥
٤ ـ سورة الزلزلة آية ٧ ـ ٨
٥ ـ صحيح الأمام البخارى حـ ١ ص١٢ ، صحيح الأمام مسلم حـ٣ ص٢٥ ، ص٣٦
٦ ـ صحيح الامام مسلم حـ٣ ص٥٩ ، ص٦٠
٧ ـ اتحاف المريد بجوهرة التوحيد ص١٧٥

وكذلك إذا قلنا بقياس الغائب على الشاهد - كما ذهبت المعتزله - فإن العقل يحسن غفران الذنوب والتجاوز عنها فيما بين البشر فذلك أولى بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى

يقول أمام الحرمين «وإذا حسن من الواحد منا الصفح مع تلذذه بالإنتقام والتشفى وتعرضه للمضار لو كظم غيظه ، فلأن يحسن العفو من الرب تعالى المتنزه عن الحاجة المنعوت بالغنى حقاً ، أولى وأحرى » (١)

كذلك يقول إمام الحرمين "اتفق أهل الحق على إثبات الشفاعة ، وهذا يستدعى تقديم قول فى جواز غفران الذنوب .

فنقول : من استقر فى عقله أن الله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء ، وتقرر لديه بما قدمناه ، أنه لايجب على رب الأرباب ثواب ولاعقاب لم ينكر جواز غفرانه وعفوه ، وإن نزلنا على مقدار عقول المخالفين فى تشبيههم أحكام فعل الله تبارك وتعالى بأفعال المخلوقين فقد تقرر عند العقلاء قاطبة : أن العفو والصفح والتجاوز عن المجرمين من مكارم الأخلاق ومعالى الأمور ، وقد أطبقت طبقات الخلق ، على تفنن أرائهم وأختلاف أهوائهم على تحسين التجاوز والعفو عند المقدرة » (٢) .

وأما آيات الوعيد مثل قوله تعالى [ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها] (٣) وقوله تعالى [أن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون] (٤) وغير ذلك من الآيات التى تنص على تعذيب العصاة ، وتخليدهم فى النار - التى استدلت بها المعتزلة - فهى تتعارض بظاهرها مع ماذهب إليه إليه أهل السنة من جواز العفو وغفران الذنوب مطلقاً مادامت دون الشرك بالله ، فإن أهل السنة يؤولون هذه الآيات ، وذلك بتخصيصها بالكفار دون المؤمنين ، أو الجمع بينهما وبين آيات الوعد ، أو القول بأن العاصى يعذب فى النار مدة ثم يغفر الله تعالى له ، إذ أن المراد بالتأبيد فى هذه الآيات هو المكث الطويل ، وبعد أن يستوفى حظه من العذاب يخرج من النار ويدخل الجنة لأجل الثواب ، لأنه من جملة المؤمنين (٥) .

---

١ - الإرشاد للإمام الحرمين الجوينى ص٢٩٣
٢ - العقيدة النظامية لإمام الحرمين ص٦٠
٣ - سورة النساء آية ١٤
٤ - سورة الزخرف آية ٧٤
٥ - أصول الدين للبغدادى ص٢٤٣

وعلى ذلك فحكم الفاسق من المؤمنين الخلود فى الجنة أما ابتداء بموجب العفو أو الشفاعة ، وإما بعد التعذيب بالنار بقدر الذنب والله سبحانه وتعالى أعلم .

موقف المعتزلة من الشفاعة

خالف المعتزلة جمهور المسلمين من أهل السنة ، فذهبوا إلى عدم جواز الشفاعة لمن أرتكب كبيرة ومات ولم يتب منها وأنه لابد أن يخلد فى النار بحيث لايخرج منها أبداً ، وهذا مبنى على أعتقادهم بعدم جواز العفو عن مرتكب الكبيرة ، فتبعاً لذلك لاتجوز الشفاعة من أجله ، لأن ثبوت الشفاعة من أجله يناقض مبدأ الوعيد الذى يقضى بتخليد العصاة فى النار وعدم العفو عنهم أبداً .

ولما كانت الشفاعة هى طلب العفو والمغفرة فهى لاتجوز من أجل مرتكبى الكبيرة لأنه لافائدة منها ، إذ. أن الله تعالى لايغفر لهم ذنوبهم ولن يعفو عنهم (١) .

وقد استدل المعتزلة على انكار الشفاعة لأهل الكبائر بأدلة عقلية وأدلة نقلية :-

الأدلة العقلية :

فقد استدل القاضى عبدالجبار «أن شفاعة الفساق الذين ماتوا على الفسوق ولم يتوبوا يتنزل منزلة الشفاعة لمن قتل ولد الغير وترصد للآخر حتى يقتله ، فكما أن ذلك يقبح فكذلك ههنا» (٢) .

واستدلوا أيضاً بأن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا شفع لصاحب الكبيرة فلا يخلو ، أما أن يشفع أولا، فإن لم يشفع لم يجز لأنه يقدح باكرامة ، وإن شفع فيه لم يجز أيضاً لأنا قد دللنا على أن اثابه من لايستحق الثواب قبيح ، وأن المكلف لايدخل الجنة تفضلاً ، وأيضاً قد دلت الدلالة على أن العقوبة تستحق على طريق الدوام فكيف يخرج الفاسق من النار بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم والحال ماتقدم » (٣) .

الأدلة النقلية :.

استدلت المعتزلة على إنكار الشفاعة لأهل الكبائر

أولاً : بآيات من القرآن الكريم

---

١ - شرح الأصول الخمسة ص٦٩٠ ، ص٦٩٢ ، المواقف ص٣٨٠ ، الإبانه ص ١٠ ، معالم أصول الدين ص١٢٤ ، شرح الطحاويه حـ١ ص٢٨٤

٢ - شرح الأصول الخمسة ص٦٨٨

٣ - شرح الأصول الخمسة ص٦٨٩

ثانياً : بالأحاديث النبوية الشريفة

ثالثاً : بتأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها لزيادة الدرجات .

أولاً : الآيات القرآنية

١ - قوله تعالى [واتقوا يوماً لاتجزى نفس عن نفس شيئاً ولايقبل منها شفاعة ولايؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون] (١) .

قالوا : أن هذه الآية تدل على نفى الشفاعة من ثلاثة أوجه :-

الأول : قوله تعالى (لاتجزى نفس عن نفس شيئاً) ولو أثرت الشفاعة فى أسقاط العقاب لكان قد أجزت عن نفس شيئاً .

الثانى : قوله تعالى (ولاتقبل منها شفاعة) وهذه نكرة فى سياق النفى ، فتعم جميع أنواع الشفاعة

الثالث : قوله تعالى (ولاهم ينصرون) ولوكان محمد شفيعاً لأحد من العصاة ، لكان ناصراً له ، وذلك على خلاف الآية .

لايقال الكلام على الآية من وجهين :

الأول : أن اليهود كانوا يزعمون أن آباءهم يشفعون لهم ، فأيسوا من ذلك ، فالآية نزلت فيهم .

الثانى : أن ظاهر الآية يقتضى نفى الشفاعة مطلقاً إلا أنا أجمعنا على تطرق التخصيص إليه فى حق زيادة الثواب لأهل الطاعة ، فنحن أيضاً نخصه فى حق المسلم صاحب الكبيرة بالدلائل التى نذكرها لأنا نجيب عن الأول بأن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب وعن الثانى : أنه لايجوز أن يكون المراد من الآية : نفى الشفاعة فى زيادة المنافع ، لأنه تعالى حذر من ذلك اليوم ، بأنه لاتنفع فيه شفاعة وليس يحصل التحذير إذا رجع نفى الشفاعة إلى تحصيل زيادة النفع و لأن عدم حصول زيادة النفع ، ليس فيه خطر ولاضرر ، يبين ذلك : أنه تعالى لوقال : اتقوا يوماً لا أزيد فيه منافع المستحق للثواب بشفاعة أحد ، لم يحصل بذلك زجر عن المعاصى ، ولو قال : اتقوا يوماً لا أسقط فيه عقاب المستحق للعقاب بشفاعة شفيع ، كان ذلك زجراً عن المعاصى ، فثبت : أن المقصود من الآية : نفى تأثير الشفاعة فى إسقاط العقاب ، لانفى تأثيرها فى زيادة المنافع » (٢) .

---

١ - سورة البقرة أية ٤٨

٢ - تفسير الفخر الرازى حـ ٣ ص ٥٦ ، تفسير القرطبى حـ١ ص٤١٩

وقالوا أيضاً أن هذه الآية دلت على أنه لاتجزى نفس عن نفس شيئاً على سبيل العموم فإن النكرة في سياق النفي تفيد العموم وتأثير شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم منافي لمقتضى هذه الآية فلايثبت التأثير ، وإذن فلا شفاعة في العصاه مطلقاً (١) .

وقال الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية (أنه لوقيل : هل في هذه الآية دليل على أن الشفاعة لاتقبل للعصاة ؟ قلت : نعم لأنه نفى أن تقضي نفس عن نفس حقاً أخلت به من فعل أو ترك ثم أنه نفى أن تقبل منها شفاعة شفيع فعلم أنها لاتقبل للعصاة (٢) .

٢ - قولة تعالى [ما للظالمين من حميم ولاشفيع يطاع] (٣)

والظالم هو الآتي بالظلم ، وذلك يتناول الكافر وغيره

لايقال : أنه تعالى نفى أن يكون للظالمين شفيع يطاع ، ولم ينف شفيعاً يجاب ، ونحن نقول بموجبه ، بأنه لايكون في الآخرة شفيع يطاع ، لأن المطاع يكون فوق المطيع ، وليس فوقه تعالى أحد يطيعه الله تعالى ، لأنا نقول : لايجوز حمل الآية على ماقلتم من وجهين :

الأول : أن العلم بأنه ليس فوقه تعالى أحد يطيعه ، متفق عليه بين العقلاء ، أما من اثبته سبحانه فقد أعترف أنه لايطيع أحداً ، وأما من نفاه فمع القول بالنفي ، استحال أن يعتقد فيه كونه مطيعاً لغيره ، وإذا ثبت هذا ، كان حمل الآية على ماذكرتم حملا لها على معنى لايفيد .

الثاني : أنه تعالى نفى شفيعاً يطاع ، والشفيع لايكون إلا دون المشفوع إليه ، لأن من فوقه يكون أمراً له وحاكماً عليه ، ومثله لايسمى شفيعاً ، فأفاد قوله «شفيع » كونه دون الله تعالى ، فلم يمكن حمل قوله «يطاع» على من فوقه ، فوجب حمله على أن المراد به : أنه لايكون لهم شفيع يجاب (٤) .

وقالوا أيضا : أن الله تعالى قد نفى الشفيع للظالمين على سبيل العموم والعصاة ظالمون فلايكون لهم شفيع البتة ولو كان لهم شفيع لما قبلت شفاعته ولوكانت الشفاعة لأهل الكبائر المصريين عليها

---

١ - شرح مطالع الأنظار ص٢٢٧
٢ - الكشف الزمخشري حـ١ ص١٠٢
٣ - سورة غافر أية ١٨
٤ - شرح الأصول الخمسة ص٦٨٩ ، الشفاعة العظمى ص٤٠ ، ص٤١

لم يصح هذا الظاهر ، وإذن فلاتجوز شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم من أجل مرتكبى الكبائر [١].

٣ ـ قوله تعالى [من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه ولاخله ولاشفاعة] [٢] ظاهر هذه الآية ينفى جميع الشفاعات [٣]

٤ ـ قوله تعالى [وماللظالمين من أنصار] [٤] ولو كان الرسول يشفع للفاسق من أمته ، لوصفوا بأنهم منصورون ، لأنه إذا تخلص بسبب شفاعة الرسول عن العذاب ، فقد بلغ الرسول النهاية فى نصرته [٥] .

٥ ـ قوله تعالى [ولا يشفعون إلا لمن إرتضى] [٦] أخبر الله تعالى عن ملاءكته أنهم لا يشفعون لأحد إلا أن يرتضيه الله عز وجل .

والفاسق ليس بمرتضى عند الله تعالى ، وإذا لم تشفع الملائكة له ، فكذا الأنبياء عليهم السلام لأنه لاقائل بالفرق [٧] .

٦ ـ قوله تعالى [فما تنفعهم شفاعة الشافعين] [٨] ولو أثرت الشفاعة فى إسقاط العقاب لكانت الشفاعة قد تنفعم وذلك ضد الآية [٩] .

٧ ـ قوله تعالى [يدبر الأمر مامن شفيع إلا من بعد أذنه] [١٠] فنفى الشفاعة عمن لم يأذن فى شفاعته ، وكذا قوله : [من ذا الذى يشفع عنده إلا بأذنه] [١١] وكذا قوله تعالى : [لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا] [١٢] وأنه تعالى لم يأذن فى الشفاعة فى حق أصحاب الكبائر ، لأن هذا الأذن لو عرف ، لعرف أما بالعقل أو بالنقل .

---

١ ـ شرح الأصول الخمسة ص٢٨٩ ، تنزية القرآن عن المطاعن ص٣٦٧ .
٢ ـ سورة البقرة أية ٢٥٤
٣ ـ الأربعين فى أصول الدين ص٢٤٩
٤ ـ سورة البقرة أية ٢٧٠
٥ ـ تفسير الفخر الرازى حـ ٣ ص٥٧
٦ ـ سورة الأنبياء أية ٢٨
٧ ـ الشفاعة العظمى ص ٤١
٨ ـ سورة المدثر أية ٤٨
٩ ـ تفسير الفخرى الرازى حـ٣ ص٥٧ ، الأربعين ص٢٤٩
١٠ ـ سورة يونس أية ٣
١١ ـ سورة البقرة أية ٢٥٥
١٢ ـ سورة النبأ أية ٣٨

أما العقل فلا مجال له فيه ، وأما النقل فاما بالتواتر أو بالأحاد ، والأحاد لا مجال له فيه لأن رواية الآحاد لاتفيد إلا الظن والمسألة علمية والتمسك فى المطالب العلمية بالدلائل الظنية غير جائز ، وأما التواتر فباطل لأنه لوحصل ذلك لعرفه جمهور المسلمين ، ولو كان كذلك لما أنكروا هذه الشفاعة ، وحيث أطبق الأكثرون على الإنكار علمنا : أنه لم يوجد هذا الأذن .(١)

ثانياً : الأحاديث النبوية الشريفة :

استدلت المعتزلة على أنكار الشفاعة لأصحاب الكبائر بعدة أحاديث :-

الأول : مارواه العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبى هريرة أنه عليه الصلاة والسلام دخل المقبرة فقال (السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا أن شاء الله بكم لاحقون ، وودت أنى قد رأيت إخواننا قالوا يا رسول الله ألسنا أخوانك ؟ قال بل أنتم أصحابى وأخواننا الذين لم يأتوا بعد قالوا يارسول الله كيف تعرف من يأتى بعدك من أمتك ؟ قال أرأيت أن كان لرجل خيل غر محجلة فى خيل دهم فهل لايعرف خيله ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال فأنهم يأتون يوم القيامة غراً محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض ، إلا فليزادن رجال عن حوض كما يزاد البعير الضال ، أناديهم ألا هلم فيقال أنهم قد بدلوا بعدك فأقول فسحقاً فسحقاً)(٢) .

والأستدلال بهذا الخبر على نفى الشفاعة أنه لا يمكن أن يكون شفيعاً لهم بسبب قوله (فسحقاً فحسقاً) لان السحق هو واد بعيد وقيل هو أسم لجهنم ومعناها البعد فكيف يبعدهم عنه ويمنعهم شربة ماء (٣) .

الثانى : روى عبدالرحمن بن سـاباط عن جابر بن عبدالله أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة(ياكعب بن عجره اعيذك بالله من إماره السفهاء أنه سيكون أمراء من يدخل عليهم فاعانهم على ظلمهم ، وصدقهم بكذبهم فليس منى ولست منه ولن يرد على الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو منى وأنا منه وسيرد على الحوض ،

---

١ - تفسير الفخر الرازى حـ٣ ص٥٧ ، ص٥٨ .

٢ - صحيح مسلم حـ٣ ص١٣٧ ، ص١٣٨ ، صحيح البخارى حـ٨ ص١٥٠ ، سنن أبن ماجه ص٢ ص١٤٣٩ ، ص١٤٤٠ .

٣ - تفسير الفخر الرازى حـ٣ ص٥٨ .

ياكعب بن عجرة الصلاة قربان والصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، ياكعب بن عجرة لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت) (١) .

والأستدلال بهذا الحديث من ثلاثة أوجه : -

أحدها : أنه إذا لم يكن من النبى ولاالنبى منه ، فكيف يشفع له ؟ وثانيها : قوله (لم يرد على الحوض) دليل على نفى الشفاعة لأنه إذا منع من الوصول إلى الرسول ، حتى لايرد عليه الحوض فبأن يمتنع الرسول من خلاصه من العقاب أولى .

وثالثها : أن قوله (لايدخل الجنة لحم نبت من السحت) صريح فى أنه لا أثر للشفاعة فى حق صاحب الكبيرة (٢) .

الثالث : عن أبى هريرة قال : قال عليه الصلاة والسلام (لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاه لها ثغاء يقول يارسول الله أغثنى فاقول لاأملك لك من الله شيئاً قد بلغتك) (٣) وهذا صريح فى المطلوب لانه إذا لم يملك له من الله شيئاً فليس له فى الشفاعة نصيب (٤) .

الرابع : عن أبى هريرة قال قال عليه الصلاة والسلام (ثلاثة أنا خصيمهم يوم القيامة ومن كنت خصيمه خصمته ، رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فأستوفى منه ولم يوفه أجرته) والأستدلال به أنه عليه الصلاة والسلام لما كان خصيماً لهؤلاء أستحال أن يكون شفيعاً لهم) (٥) .

تلك هى الأدلة التى استدلت بها المعتزلة على نفى الشفاعة لأهل الكبائر ، ولكن المعتزلة لما وجدوا فى القرآن الكريم آيات تثبت العفو والشفاعة قالوا : أن العفو عن الصغائر مطلقاً وعن الكبائر بعد التوبة ، وبالشفاعة لزيادة الثواب (٦) .

كذلك لما وجدوا أنه لاخلاف بين الأمة فى أن شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم ثابتة لأمته قالوا : أن الشفاعة ثابتة فى حق التائبين من المؤمنين دون الفساق من أهل الصلاة .

---

١ - سنن الترمزى حـ ٢ ص٥١٢ ، ص٥١٣ ، مسند الأمام أحمد حـ ٣ ص٣٩٩
٢ - الشفاعة العظمى ص٤٤
٣ - صحيح مسلم حـ١٢ ص٢١٦ ، صحيح البخارى حـ٢ ص١٣٢
٤ - تفسير الفخر الرازى حـ٣ ص٥٨
٥ - تفسير الفخر الرازى حـ٣ ص٥٨ ، ص ٥٩ .
٦ - شرح العقائد النسفية ص ١٢٣

والشفاعة للمؤمنين التائبين تكون لزيادة الثواب والفضل (١) .

موقف أهل السنة من الشفاعة

ذهب أهل السنة إلى جواز الشفاعة فى حق المؤمنين جميعاً سواء كانوا مرتكبين الصغائر أو كبائر الذنوب ، ويقوم مذهبهم هذا على جواز غفران الله تعالى للذنوب جميعاً ، وهذا الجواز هو عن طريق العقل .

فإذا ثبت عقلاً جواز غفران ذنوب العصاه من المؤمنين سواء أكانت هذه الذنوب صغائر أو كبائر فإنه تبعاً لذلك تثبت الشفاعة فى حق المؤمنين جميعاً لأن الشفاعة هى العفو والمغفرة ، والعقل يجوز ذلك بناء على أن قدرة الله تعالى تتناول جميع الممكنات .

وقد سبق بيان أدلة أهل السنة على جواز غفران الله تعالى للذنوب جميعاً ، أما أدلة أهل السنة على جواز الشفاعة للعصاة من المؤمنين فقد أستدلوا على جوازها من جهة العقل ومن جهة الشرع .

أما من جهة العقل : فقالوا إذا ثبت جواز غفران ذنوب العصاه من المؤمنين سواء أكانت هذه الذنوب صغائر أم كبائر فإنه بالتالى يجوز تشفيع الشفعاء وحط أوزار المجرمين بشفاعتهم لأن الشفاعة هى طلب العفو والمغفرة (٢) .

ونجد صاحب الجوهرة - وشارحها - يعبر عن هذا الرأى حيث يقول «أنه يجوز عقلاً وسمعاً غفران غير الكفر من الذنوب بلا توبة ولاشفاعة فبالشفاعة أولى لأنها ليست مستحيلة بل هى من مجوزات العقول وكل ماهو كذلك فهو واجب القبول » (٣) ..

فالشفاعة تجوز فى حق العصاة ويجوز من الله تعالى تشفيع الشفعاء فيهم لأن لله تعالى أن يفعل مايشاء إذ هو تعالى ليس فوقه مشرع مبيح أو حاظر .

وقد ذهب إلى هذا القول أمام الحرمين حيث قال : «اتفق أهل الحق على أثبات الشفاعة ، وهذا يستدعى تقديم قول فى جواز غفران الذنوب فنقول : من استقر فى عقله أن الله تبارك وتعالى يفعل

---

١ - الكشاف للزمخشرى حـ١ ص٢٢٧ ، شرح الأصول الخمسة ص٦٩٠ ، المواقف ص٣٨٠ ، تنزيه القرآن عن المطاعن ص٣٦٧

٢ - الأرشاد للجوينى ص٣٩٢

٣ - جوهرة التوحيد للبيجورى ص١٧١ ، شرح العقائد النسفية ص١٢٣

مايشاء ، وتقرر لديه بما قدمناه ، أنه لايجب على رب الأرباب ثواب ولاعقاب لم ينكر جواز غفرانه وعفوه ، وأن نزلنا على مقدار عقول المخالفين فى تشبيههم أحكام فعل الله تبارك وتعالى بأفعال المخلوقين فقد تقرر عند العقلاء قاطبة : أن العفو والصفح والتجاوز عن المجرمين من مكارم الأخلاق ومعالى الأمور ، وقد أطبقت طبقات الخلق على تفنن أرائهم واختلاف أهوائهم : على تحسين التجاوز والعفو عند المقدرة ثم إذا عظم قدر بعض الخدم عند الملك لم يقبح تشفيعه فى جمع من المذنبين فإذا تقرر الجواز فى ذلك فالأخبار الواردة فى الشفاعة مدونة فى الصحاح بالغة مبلغ الإستفاضة"[1]

ومعنى هذا إننا إذا أخذنا بقياس الغائب على الشاهد فى هذه المسألة كما يفعل المخالفون لنا من المعتزلة وغيرهم فإنه يؤدى إلى جواز غفران الذنوب لمرتكبى الكبائر .

فمذهب أهل الحق أن الشفاعة جائزة بناء على جواز الصفح والعفو من الله سبحانه وتعالى ، فإذا ثبت جواز الغفران ثبت تشفيع الشفعاء للعصاة من المؤمنين سواء كانت ذنوبهم صغيرة أم كبيرة .

وعلى ذلك فالشفاعة جائزة عقلا للمؤمنين المرتكبين الكبائر ، فأمرهم موكل الله إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله ورحمته وإن شاء عذبهم فى النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين

أما من جهة الشرع :

فقد استدل أهل السنة على ثبوت الشفاعة للعصاة من المؤمنين بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

أولا القرآن الكريم :

١- قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم (وإستغفر لذنبك والمؤمنين والمؤمنات) [2] دلت الأية على أنه تعالى أمر محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يستغفر لكل المؤمنين والمؤمنات ، وصاحب الكبيرة مؤمن فيستغفر له أمتثالا لأمر الله تعالى ، وصيانة لعصمته صلى الله عليه وسلم عن مخالفة أمر الله ، واستغفاره صلى الله عليه وسلم هو طلب العفو والمغفرة ، والشفاعة هى طلب العفو

---

١ - العقيدة النظامية ص٨٢

٢ - سورة محمد آية ١٩

والمغفرة وإذا استغفر النبى صلى الله عليه وسلم لصاحب الكبيرة الذى مات قبل توبته ، فإن الله تعالى يقبل شفاعته صلى الله عليه وسلم تحصيلاً لمرضاته صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى [ولسوف يعطيك ربك فترضى] (١) وعلى ذلك تكون شفاعته صلى الله عليه وسلم مقبوله فى حق صاحب الكبيرة (٢) .

٢ - قوله تعالى فى صفة الملائكة [ولايشفعون إلا لمن أرتضى] (٣) ووجه الإستدلال به كما يقول الفخر الرازى «أن صاحب الكبيرة مرتضى عند الله تعالى وكل من كان مرتضى عند الله تعالى وجب أن يكون من أهل الشفاعة أنما قلنا أن صاحب الكبيرة مرتضى عند الله تعالى لأنه مرتضى عند الله بحسب إيمانه وتوحيده وكل من صدق عليه أنه مرتضى عند الله بحسب هذا الوصف يصدق عليه أنه مرتضى عند الله تعالى بحسب إيمانه ، ومتى صدق المركب صدق المفرد ، فثبت أن صاحب الكبيرة مرتضى عند الله ، وإذا ثبت هذا وجب أن يكون من أهل الشفاعة لقوله تعالى (ولا يشفعون إلا لمن أرتضى) نفى الشفاعة إلا لمن كان مرتضى والأستثناء عن النفى أثبات فوجب أن يكون المرتضى أهلاً لشفاعتهم ، وإذا ثبت أن صاحب الكبيرة داخل فى شفاعة الملائكة وجب دخوله فى شفاعة الأنبياء وشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ضرورة أنه لاقائل بالفرق » (٤) .

٣ - قوله تعالى [فما تنفعهم شفاعة الشافعين] (٥) ذكر ذلك فى معرض التهديد للكفار ، فلو كان حال المسلم كذلك ، لم يبق فى هذا التهديد فرق بين المؤمن والكافر ، فكان تخصيص الكافر عبثاً ، فتخصيصهم بهذه الحال يدل على أن حال المؤمن بخلافة (٦) .

٤ - قوله تعالى [يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا لايملكون الشفاعة إلا من أتخذ عند الرحمن عهداً] (٧) والمقصود من قوله تعالى (لايملكون الشفاعة) أن المجرمين لايملكون الشفاعة لأحد ، أو أن غيرهم لايملكون الشفاعة لهم ووجب حمل الآية على المعنى

---

١ - سورة الضحى أية ٥
٢ - شرح مطالع الأنظار ص ٢٢٢ ، الأربعين الرازى ص٢٤٥
٣ - سورة محمد أية ١٩
٤ - تفسير الفخرى الرازى حـ٣ ص٦٠ ، الفصل لابن حزم حـ٤ ص٥٤
٥ - سورة المدثر أية ٤٨
٦ - الأربعين ص٢٤٨ ، معالم أصول الدين ص١٢٦
٧ - سورة مريم أية ٨٥ - ٨٧

الثانى لأنه غير جائز حمله على المعنى الأول لأن المجرمين الذين يساقون إلى جهنم لايملكون الشفاعة لأحد .

وقيل : أن المجرمين يعم الكفرة والعصاه ثم أخبر أنهم لايملكون الشفاعة إلا العصاة المؤمنون ، فدلت الآية على حصول الشفاعة لأهل الكبائر أى نحشر المتقين والمجرمين ولايملك أحد الشفاعة «إلا من أتخذ عند الرحمن عهداً» وهذا يقتضى أن كل من أتخذ عند الرحمن عهداً دخل تحت هذه الآية ، وصاحب الكبيرة أتخذ عند الرحمن عهد الإيمان والتوحيد فوجب دخوله تحت هذه الآية فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال «العهد : لا إله إلا الله » (١) .

ثانياً : الأحاديث النبوية الشريفة :

استدل أهل السنة على جواز الشفاعة لأهل الكبائر بعدة أحاديث نذكر منها مايلى :ـ

١ ـ عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى» (٢) وعند شرح الحديث قال (شفاعتى) أى الشفاعة التى وعدنى الله بها أدخرتها (لأهل الكبائر من أمتى) أى لوضع السيئات والعفو عن الكبائر ، وأما الشفاعة لرفع الدرجات فلكل من الأتقياء والأولياء ، وذلك متفق عليه بين أهل الملة ، وقيل أن المراد بها شفاعتى التى تنجى الهالكين مختصة بأهل الكبائر .

وجاء فى كتاب النهاية (قول الحافظ البيهقى رواية عن جابر رضى الله عنه أنه قال «عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعتى يوم القيامة لأهل الكبائر من أمتى ، فقلت : ماهذا ياجابر ؟ قال : نعم يامحمد ، أنه من زادت حسناته على سيئاته فذلك الذى يدخل الجنه بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته فذاك الذى يحاسب حساباً يسيراً ، ثم يدخل الجنة ، وأما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم : لمن أوثق نفسه وأغلق ظهره» وقد رواه البيهقى أيضاً عن الحاكم وقال الحاكم هذا حديث صحيح ، وقال البيهقى وظاهرة يوجب أن تكون الشفاعة فى أهل الكبائر مختصة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والملائكة إنما يشفعون فى أهل الصغائر واستزادت الدرجات) (٣) .

---

١ ـ تفسير القرطبى حـ ٦ ص٤٣٢٦ ، الشفاعة العظمى ص٤٦ .
٢ ـ سنن أبى داود حـ ٧ ص١٢٩ ، سنن ابن ماجه حـ٢ ص١٤٤١
٣ ـ النهاية للإمام ابن كثير حـ٢ ص٢٩٣

وبناءاً على ذلك يكون حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى) دليلاً على أثبات الشفاعة لعصاه المؤمنين وهو حديث صحيح جاء فى أكثر من كتاب من كتب الأحاديث فقد جاء فى تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى ، وسنن أبى داود ، وسنن أبى ماجه (١) وقد جاء فى فتح البارى شرح أحاديث البخارى عند ذكر حديث (من أسعد الناس بشفاعتك) لعل أبا هريرة سأل عن ذلك عند تحديثه صلى الله عليه وسلم بقوله «أريد أن أختبيء دعوتى شفاعتى لأمتى فى الأخره» ومن طرقه «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى» (٢) .

كذلك جاء ذكر هذا الحديث فى معظم كتب العقيدة للدلالة على ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر ، فقد جاء فى كتاب المواقف فى شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم «أجمعت الأمة على أصل الشفاعة وهى:

عندنا لأهل الكبائر من الأمة لقوله عليه السلام : «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى» (٣) .

وجاء فى العقائد النسفية : «الشفاعة ثابتة للرسل بالأخبار فى حق أهل الكبائر » (٤) .

وأيضا «الشفاعة حق لمن أذن له الرحمن وشفاعة الرسول لأهل الكبائر من أمته وهو مشفع فيهم ولايرد مطلوبة» (٥) .

وكذلك «أجمع أهل السنة والجماعة على صحة الشفاعة من الرسول لأهل الكبائر من هذه الآمة» (٦).

وذكر الأشعرى «عند أهل السنة والأستقامة شفاعة الرسول لأهل الكبائر من أمته » (٧) .

كذلك ذكر إمام الحرمين «فإذا ثبت جواز التشفيع عقلاً ، فقد شهدت له سنن بلغت الاستفاضة ، فمن رامها ألفاها منقولة ، ثم هى مصرحة بالتشفيع فى أهل الكبائر ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » (٨) .

٢ - روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لكل نبى دعوة

---

١ - تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى حـ٧ ص١٢٧ ، سنن أبى داود حـ٧ ص١٢٩ ، سنن ابن ماجه حـ٢ ص١٤٤١

٢ - فتح البارى شرح أحاديث البخارى حـ١١ ص٤٤٣ .

٣ - المواقف للإيجى ص٣٨٠

٤ - العقائد النسفية ص١٢٢

٥ - العقائد العضدية حـ٢ ص٢٧٠ ، ص٢٧١

٦ - الأنصاف للبقلانى ص١٦٨

٧ - مقالات الإسلاميين الأشعرى حـ٢ ص١٤٧ ، ص١٤٨

٨ - الإرشاد للجوينى ص٣٩٤

مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وإنى إختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة فهى نائلة إن شاء الله من مات من أمتى لايشرك بالله شيئاً) (١) .

والأستدلال به أن الحديث صريح فى أن شفاعته صلى الله عليه وسلم تنال كل من مات من أمته لايشرك بالله شيئاً وصاحب الكبيرة كذلك فوجب أن تناله الشفاعة (٢) .

٣ ـ عن أنس بن مالك (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك وقال ابن عبيد فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا قال فيأتون آدم صلى الله عليه وسلم فيقولون أنت آدم أبو الخلق خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحى ربه منها ولكن أئتوا نوحا أول رسول بعثه الله قال فيأتون نوحاً صلى الله عليه وسلم فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحى ربه منها ولكن أئتوا إبراهيم صلى الله عليه وسلم الذى اتخذه الله خليلاً فيأتون إبراهيم صلى الله عليه وسلم فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحى ربه منها ولكن أئتوا موسى صلى الله وعليه وسلم الذى كلمه الله وأعطاه التوراة قال فيأتون موسى عليه السلام فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحى ربه منها ولكن أئتوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن أئتوا محمداً صلى الله عليه وسلم عبداً قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتونى فأستاذن على ربى فيؤذن لى فإذا أنا رأيته وقعت ساجداً فيدعنى ماشاء الله فيقال يا محمد أرفع رأسك قل تسمع سل تعطه أشفع تشفع فأرفع رأسى فأحمد ربى بتحميد يعلمنيه ربى ثم أشفع فيحد لى حداً فأخرجهم من النار وادخلهم الجنة ثم أعود فاقع ساجداً فيدعى ماشاء الله أن يدعنى ثم يقال أرفع رأسك يامحمد قل تسمع سل تعطه أشفع تشفع فارفع رأسى فأحمد ربى بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لى حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة قال فلا أدرى فى الثالثة أو فى الرابعة قال فأقول يارب مابقى فى النار إلا من حبسه القرآن أى وجب عليه الخلود قال ابن عبيد فى روايته قال قتاده أى وجب عليه الخلود (٣) .

---

١ ـ رواه الإمام مسلم بشرح النووى حـ٣ كتاب الإيمان باب الشفاعة ص٧٤ .

٢ ـ تفسير الفخر الرازى حـ٣ ص٦٢

٣ ـ صحيح الإمام مسلم حـ٣ ص٥٣ ـ ص٥٨ ، فتح البارى شرح صحيح البخارى حـ١١ ص٤٣٢ ، ص٤٣٥

والحديث واضح فى اثبات الشفاعة لعصاة المؤمنين وهو أن المولى عز وجل عندما يجمع الناس يوم القيامة فيعتنون بسؤال الشفاعة لإزالة ماهم فيه من الكرب والهم فيذهبون إلى الأنبياء صلوات الله عليهم طالبين شفاعتهم فيقول كل نبى لست لها .

قال الإمام القاضى عياض رحمة الله (هذا يقولونه تواضعا وإكباراً لما يسئلونه ، قال وقد تكون إشارة من كل واحد منهم إلى أن هذه الشفاعة وهذا المقام ليس له بل لغيره وكل واحد منهم يدل على الآخر حتى انتهى الأمر إلى صاحبة ، قال ويحتمل أنهم علموا أن صاحبها محمد صلى الله عليه وسلم معينا وتكون إحالة كل واحد منهم على الآخر على تدريج الشفاعة فى ذلك إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأما مبادرة النبى صلى الله عليه وسلم لذلك واجابته لدعوتهم فلتحققه صلى الله عليه وسلم أن هذا الكرامة والمقام له صلى الله عليه وسلم خاصة) (١) .

وقوله صلى الله عليه وسلم (فيأتونى فأستأذن على ربى فيؤذن لى) أى يؤذن له فى الشفاعة التى أدخرها الله له وهى الأراحة من الموقف والفصل بين العباد .

وقوله صلى الله عليه وسلم (مابقى فى النار إلا من حبسه القرآن) وفى هذا أكبر دليل على صحة مذهب أهل الحق وما أجمع عليه السلف أنه لايخلد فى النار أحد مات على التوحيد وأن من وجب عليه الخلود فى النار هم الكفار (٢) .

٤ - عن أبى سعيد قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها فأنهم لايموتون فيها ولايحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فاماتهم أماته حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل فقال رجل من القوم كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان بالبادية » (٣) .

وقد وضح لنا الإمام النووى رحمة الله عليه معنى هذا الحديث فقال (فالظاهر والله أعلم أن معنى هذا الحديث أن الكفار الذين استحقوا الخلود فى النار لا يموتون فيها ولا يحيون ولا يخفف عنهم من

---

١ - صحيح الأمام مسلم حـ٣ كتاب الأيمان باب الشفاعة ص٥٦

٢ - صحيح الإمام مسلم حـ٣ ص٥٢ - ٥٨

٣ - صحيح الإمام مسلم بشرح الإمام النووى حـ٣ ص٣٧ ، ص٣٨

عذابها وقال المولى عز وجل وقوله الحق «لايموت فيها ولا يحيى» [١] وهو قول أهل الحق إذا قالوا أن عذاب الكفار دائم وأن نعيم المؤمنين دائم .

وقوله صلى الله عليه وسلم (ولكن ناس أصابتهم النار .. إلى آخره) المراد بالناس هم المؤمنون المذنبون فأنهم سيد خلون النار لعدل المولى عز وجل ثم يعذبوا المدة التى قدرها الله لهم ثم يميتهم الله أماته تذهب معها الإحساس ثم يخرجون من النار ، وقد صاروا فحماً مجموعات متفرقه كما تحمل الأمتعة ويلقون فى أنهار الجنة فيصب عليهم ماء الحياة بأمر المولى عز وجل فينبتون من جديد، وفى روايه أخرى يشبههم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنهم ينبتّون كما تنبت الحبة ، صفراء ضعيفة ملتوية ثم تقوى وتشتد ، فما أروعه من تشبيه لقوة من بعد ضعف) [٢] .

فإذا نظرنا إلى هذا الحديث وجدناه بلاشك يثبت إن المؤمنين سيخرجون من النار بعد أن يعذبوا القدر الذى يراه الله لهم ويكون دليل للرد على القائلين بحرمان عصاة المؤمنين من الشفاعة .

فالحديث واضح وصريح بأنهم سيخرجون من النار ، والخروج أما بالشفاعة وأما رحمة منه عز وجل حيث جاء فى الحديث الصحيح (فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل) [٣] والحديث صريح بان الخروج سببه الشفاعة .

هكذا استدل أهل السنة بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة على أثبات الشفاعة للعصاة من المؤمنين واثبات أن أهل الكبائر لايخلدون فى النارإذا ماتوا وهم موحدون ، وأمرهم موكل لله أن شاء غفرلهم وعفا عنهم بفضله وأن شاء عذبهم فى النار بعدله ، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى جنته والله أعلم .

موقف المعتزلة من الأحاديث الدالة على أثبات الشفاعة لعصاة المؤمنين :

ذهبت المعتزلة إلى أن الحديث القائل (شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى) يتعارض مع مارواه الحسن البصرى وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (لاتنال شفاعتى أهل الكبائر من أمتى) وهذا

---

١ ـ سورة طه آية ٧٤
٢ ـ شرح الإمام النووى فى صحيح الأمام مسلم حـ٣ ص٣٧ ، ص٣٨
٣ ـ صحيح مسلم بشرح النووى حـ٣ ص٣٢

يدل على عدم الشفاعة لأهل الكبائر [١] .

وقد ذكر الإمام الفخر الرازى أعتراض المعتزلة على حديث (شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى) حيث قالوا : أنه حديث غير صحيح لأنه يدل على أن شفاعته ليست إلا لأهل الكبائر وهذا غير جائز لأن شفاعته منصب عظيم فتخصيصه بأهل الكبائر فقط يقتضى حرمات أهل الثواب عنه وذلك غير جائز لأنه لا أقل من التسوية ثم أنه خبر واحد ورد على مضادة القرآن ، فأنا قد أثبتنا بكثير من الآيات على بطلان الشفاعة فى عصاة المؤمنين وعلى هذا وجب رد هذا الحديث لمخالفته للقرآن ، وأضاف الإمام الفخر الرازى فى تفسيره بعض الأحتمالات التى أولت بها المعتزلة هذا الحديث على فرض صحته .

أحداها : أن يكون المراد منه الإستفهام بمعنى الأنكار يعنى أشفاعتى لأهل الكبائر من أمتى كما أن المراد من قوله (هذا ربى) [٢] أى أهذا ربى ؟ .

ثانيهما : أن لفظ الكبيرة غير مختص لا فى أصل اللغة ولا فى عرف الشرع بالمعصية بل كما يتناول المعصية يتناول الطاعة قال تعالى فى صفة الصلاة (وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) [٣] وإذا كان كذلك فقوله لأهل الكبائر لايجب أن يكون المراد منه أهل المعاصى الكبيرة بل لعل المراد منه أهل الطاعات الكبيرة .

فإن قيل : هب أن لفظ الكبيرة يتناول الطاعات والمعاصى ولكن قوله أهل الكبائر صيغة جمع مقرونه بالألف واللام فيقيد العموم فوجب أن يدل الخبر على ثبوت الشفاعة لكل من كان من أهل الكبائر سواء كان من أهل الطاعات الكبيرة أو المعاصى الكبيرة قلنا : لفظ الكبائر وأن كان للعموم إلا أن لفظ «أهل» مفرد فلا يقيد العموم فيكفى فى صدق الخبر شخص واحد من أهل الكبائر فتحمله على الشخص الآتى بكل الطاعات فأنه يكفى فى العمل بمقتضى الحديث حمله عليه .

وثالثها : هب أنه يجب حمل أهل الكبائر على أهل المعاصى الكبيرة أعم من أهل المعاصى الكبيرة بعد التوبة أو قبل التوبة فنحن نحمل الخبر على أهل المعاص الكبيرة بعد التوبة ويكون تأثير الشفاعة فى أن يتفضل الله عليه بما انحبط من ثواب طاعته المتقدمة على فسقه) [٤] .

---

١ - الأنصاف للبقلانى ص١٧١
٢ - سورة الكهف آية ٧٨
٣ - سورة البقرة آية ٤٥
٤ - تفسير الفخر الرازى جـ ٣ ص٦٢ ، ص٦٣

كذلك جاء فى شرح الأصول الخمسة أن هذا الخبر (شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى) لم تثبت صحته أولا ، ولوصح فإنه منقول بطريق الآحاد عن النبى ، ومسألتنا طريقها العلم ، فلا يصح الاحتجاج به ، ثم أنه معارض بأخبار رويت على النبى صلى الله عليه وسلم فى باب الوعيد نحو قوله «لايدخل الجنةنمام ولا مدمن خمر ولاعاق» (١) وقوله « من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأبها بطنه يوم القيامة فى نار جهنم خالداً مخلداً» (٢) .

ثم قالوا : أن هذا الحديث (شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى) يجب حمله على مايقتضيه كتاب الله وسنة رسوله فيكون المراد به شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى إذا تابوا ، لأن ما استحق التائب من الثواب قد انحبط بارتكابه الكبيرة ، ولا ثواب له إلا مقدار ماقد استحقه بالتوبه ، فبه حاجة إلى نفع التفضل عليه (٣) .

مما سبق تبين لنا أن المعتزلة أولوا الحديث الواضح فى دلالته على الشفاعة للعصاة من المؤمنين وقالوا أن حديث (شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى) لايصح وأن صح يجب تأويله إما باشتراط التوبة أي شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى إذا تابوا وأما بتأويله فيكون معناه (أشفاعتى لأهل الكبائر من أمتى) على الإستفهام الإنكارى .

كذلك أعترضت المعتزلة على بقية الأحاديث الدالة على أثبات الشفاعة لعصاة المؤمنين وقالت أنها أخبار طويلة ولايمكن ضبطها بلفظ الرسول صلى الله عليه وسلم ، والظاهر أن الراوى رواها بلفظ نفسه ، وعلى ذلك لايكون شيء منها حجة ، كما أنها وردت خلاف ظاهر القرآن وأنها خبر من واقعة واحدة وقد رويت على وجوه مختلفة بالزيادة والنقصان ، كما أنها خبر عن واقعة عظيمه فيجب أن تتوافر الدواعى على نقلها فلو كان صحيحاً لوجب بلوغة إلى حد التواتر ، وحيث لم يكن كذلك فقد تطرقت التهمة إليها ، وأيضاً أن الأعتماد على خبر الواحد الذى لايفيد إلا الظن فى المسائل القطعية غير جائز (٤) .

موقف أهل السنة من أدلة المعتزلة :

من خلال عرض أدلة المعتزلة على نفى الشفاعة للعصاة من المؤمنين اتضح لنا أنهم ذكروا

---

١ ـ صحيح مسلم حـ٢ ص١١٢ ، ص١١٣ ، سنن ابن ماجه حـ٢ ص١٢٠ .
٢ ـ صحيح مسلم حـ٢ ص١١٨ ، صحيح البخارى حـ٢ ص١٢٠
٣ ـ شرح الأصول الخمسة ص٦٩٠ ، ص٦٩١
٤ـ تفسير الفخر الرازى حـ٣ ص٦٤ ، ص٦٥

مجموعة من الآيات الكريمة وأولوا معناها بما يخدم مذهبهم ، كما استدلوا ببعض الأحاديث النبوية الشريفه مستشهدين بها فى غير مكانها ، كذلك أولوا الأحاديث الواردة فى الشفاعة ، وقالوا أنها ثابته للمؤمنين التائبين ، وتكون لزيادة الثواب والفضل وليست للمؤمنين المذنبين .

ولقد تصدى أهل السنة للرد على هذه الأدلة سواء كانت هذه الأدلة آيات قرآنية أو أحاديث نبوية شريفة.

أولاً : موقف أهل السنة من الآيات القرآنية التى أستدل بها المعتزلة

١ - قولة تعالى (واتقوا يوماً لاتجزى نفس عن نفس شيئاً ولايقبل منها شفاعة) (١) .

ذكر الإمام الألوسى عند تفسيره لهذه الآية الآتى :

(تمسك المعتزلة بعموم الآية على نفى الشفاعة لأهل الكبائر - وكون الخطاب للكفار والآية نازلة فيهم - لايدفع العموم المستفاد من اللفظ ، واجيب بالتخصيص من وجهين الأول : بحسب المكان والزمان فإن مواقف القيامة ومقدار زمانها فيها سعة وطول ، ولعل هذه الحالة فى ابتداء وقوعها وشدته ثم يأذن بالشفاعة ، والثانى بحسب الأشخاص إذ لابد لهم من التخصيص فى غير العصاة لمزيد الدرجات فليس العام باقياً على عمومه عندهم وإلا اقتضى نفى زيادة المنافع وهم لايقولون به ، ونحن نخصص فى العصاة بالأحاديث الصحيحة البالغة حد التواتر ، وحيث فتح باب التخصيص نقول أيضاً ذلك النفى مخصص بما قبل الأذن لقوله تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) (٢) وهو تخصيص له دليل ، وتخصيصهم لايظهر له دليل على أن الشفاعة بزيادة المنافع يكاد أن لاتكون شفاعة وإلا لكنا شفعاء الرسول صلى الله عليه وسلم عند الصلاة عليه مع أن الإجماع وقع منا ومنهم على أنه هو الشفيع ، وايضاً فى قوله تعالى (واستغفر لذنبك وللمؤمنين) (٣) يشير إلى الشفاعة التى ندعيها ويحث على التخصيص الذى نذهب إليه (٤) .

وقال القرطبى عند تفسيره لهذه الآية «ليست الآية عامة فى كل ظالم ، والعموم لاصيغة له فلاتعم هذه الآيات كل من يعمل سوءاً وكل نفس ، وأنما المراد بها الكافرون دون المؤمنين بدليل الأخبار الواردة فى ذلك ، وأيضاً فإن الله تعالى أثبت شفاعة لأقوام ونفاها عن أقوام ، فقال فى صفة

---

١ - سورة البقرة آية ٤٨

٢ - سورة سبأ آية ٢٣

٣ - سورة محمد آية ١٩

٤ - تفسير الأمام الألوسى حـ١ ص٢٥٢

الكافرين [فماتنفعهم شفاعة الشافعين] (١) وقال [ولايشفعون إلا لمن أرتضى] (٢) وقال [ولاتنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له] (٣) فعلمنا بهذه الجملة أن الشفاعة أنما تنفع المؤمنين دون الكافرين وقد أجمع المفسرون على أن المراد بقوله [واتقوا يوماً لاتجزى نفس عن نفس شيئاً ولايقبل منها شفاعة] (٤) النفس الكافرة لا كل نفس » (٥) .

وكذلك قال الأمام أبو السعود فى تفسيره (أن تمسك المعتزلة بهذه الآية على إنكار الشفاعة لأهل الكبائر ليس على حق لأن الآية خاصة بالكفار ويؤيده أن الخطاب معهم أى مع الكفار ولرد أعتقادهم الفاسد بأن آباءهم وانبيائهم يشفعون لهم) (٦) .

٢ـ قوله تعالى [ما للظالمين من حميم ولاشفيع يطاع] (٧) ولقد أجاب الأمام الفخر الرازى عن هذه الآية بأن «قوله تعالى [ما للظالمين من حميم ولاشفيع يطاع] نقيض لقولنا : للظالمين حميم وشفيع ، لكن قولنا للظالمين حميم وشفيع موجبه كليه ، ونقيض الموجبة الكلية سالبة جزئية ، والسالبة يكفى فى صدقها تحقق ذلك السلب فى بعض الصور ، ولايحتاج فيه إلى تحقق ذلك السلب فى جميع الصور ، وعلى هذا فنحن نقول بموجبة لأن عندنا أنه ليس لبعض الظالمين حميم ولاشفيع يجاب وهم الكفار ، فأما أن يحكم على كل واحد منهم بسلب الحميم والشفيع فلا » (٨) .

كما قال أهل السنة أن قوله تعالى [ما للظالمين من حميم ولاشفيع يطاع] أن المراد بالظلم هنا الشرك والكفر الذى لاتنفع معه طاعة ، ومما يدل على هذا ماجاء عن علقمة عن عبد الله رضى الله عنه لما نزلت (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) (٩) قال أصحاب صلى الله عليه وسلم وأينا لم يظلم نفسه فنزلت (إن الشرك لظلم عظيم) (١٠) .

---

١ ـ سورة المدثر آية ٤٨
٢ ـ سورة الأنبياء آية ٢٨
٣ ـ سورة سبأ آية ٢٣
٤ ـ سورة البقرة آية ٤٨
٥ ـ تفسير القرطبى حـ١ ص٤١٩
٦ ـ تفسير الإمام أبو السعود حـ١ ص٧٩
٧ ـ سورة غافر اية ١٨
٨ ـ تفسير الفخر الرازى حـ٣ ص٦٥
٩ ـ سورة الأنعام آية ٦
١٠ ـ سورة لقمان آية ٢١ ، صحيح البخارى كتاب التفسير

وإذا كان المراد بالظلم هنا الشرك والكفر الذى لاتنفع معه طاعة فهذه الآية تدل على أنه لاشفاعة تنفع الكافر ولاحميم يدفع عنه والمؤمن بخلاف ذلك وأن كانت له سيئات [١] .

٣ ـ قوله تعالى [ياأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه ولاخلة ولاشفاعة] [٢] .

استدلت المعتزلة بأن هذه الآية تدل على منع الشفاعة ، وعند تتبع المفسرين لها لانجد لاستدلالهم أى وجه ، فقد ذكر الإمام الفخر الرازى عند تفسيره هذه الآية أن قوله تعالى (ولا خلة ولا شفاعة) عام فى الكل ، إلا أن سائر الدلائل دلت على ثبوت المودة والمحبة بين المؤمنين ، وعلى ثبوت الشفاعة للمؤمنين ، وقال (ولا خلة ولا شفاعة) أوهم ذلك نفى الخلة والشفاعة مطلقاً ، فذكر تعالى عقيبة (والكافرون هم الظالمون) ليدل على أن ذلك النفى مختص بالكافرين ، وعلى هذا التقدير تصير الآية دالة على إثبات الشفاعة فى حق الفساق قال القاضى : هذا التأويل غير صحيح لأن قوله (والكافرون هم الظالمون) كلام مبتدأ فلم يجب تعليقه بما تقدم .

والجواب : أنا لوجعلنا هذا الكلام مبتدأ تطرق الخلف إلى كلام الله تعالى ، لأن غير الكافرين قد يكون ظالما ، أما إذا علقناه بما تقدم زال الإشكال فوجب المصير إلى تعليقه بما قبله .

والتأويل الثانى أن الكافرين إذا دخلوا النار عجزوا عن التخلص من ذلك العذاب ، فالله تعالى لم يظلمهم بذلك العذاب ، بل هم الذين ظلموا إنفسهم حيث أختاروا الكفر والفسق حتى صاروا مستحقين لهذا العذاب ، ونظيره قوله تعالى (ووجدوا ماعملوا حاضراً ولايظلم ربك أحداً) [٣] .

التأويل الثالث أن الكافرين هم الظالمون حيث تركوا تقديم الخيرات ليوم فاقتهم وحاجتهم وأنتم أيها الحاضرون لاتقتدوا بهم فى هذا الأختيار الردىء ، ولكن قدموا لانفسكم مايجعلونه يوم القيامة فدية لانفسكم من عذاب الله .

والتأويل الرابع الكافرون هم الظالمون لانفسهم بوضع الأمور فى غير مواضعها ، لتوقعهم الشفاعة

---

١ ـ الأنصاف الباقلانى ص١٧٤
٢ ـ سورة البقرة آية ٢٥٤
٣ ـ سورة الكهف آية ٤٩

ممن لا يشفع لهم عند الله فإنهم كانوا يقولون فى الأوثان (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) [١] وقالوا أيضاً: (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) [٢] فمن عبد جماداً وتوقع أن يكون شفيعاً له عند الله فقد ظلم نفسه حيث توقع الخير ممن لا يجوز التوقع منه .

والتأويل الخامس المراد من الظلم ترك الأنفاق ، قال تعالى (آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً) [٣] أى أعطت ولم تمنع فيكون معنى الآية والكافرون التاركون للأنفاق فى سبيل الله ، وأما المسلم فلابد وأن ينفق منه شيئاً قل أو كثر .

والتأويل السادس (والكافرون هم الظالمون) أى هم الكاملون فى الظلم البالغون المبلغ العظيم فيه كما يقال : العلماءهم المتكاملون أى هم الكاملون فى العلم فكذا ههنا) [٤] .

وعلى ذلك تكون الآية واضحة فى إثبات الشفاعة للفساق ومما يرجح ذلك عجز الآية القائل (والكافرون هم الظالمون) حيث أن هذا التذيل أكد لنا أن نفى الخلة والشفاعة منصب على الكافرين لظلمهم أنفسهم بأحد الوجوه التى ذكرها الأمام الفخر الرازى .

٤ - قوله تعالى [وما للظالمين من أنصار] [٥] .

وقد أجاب الفخر الرازى عن هذه الآية بقولة «فالجواب عنه أنه نقيض لقولنا للظالمين أنصار وهذه موجبة كلية فقوله (وما للظالمين من أنصار) سالبة جزئية فيكون مدلوله سلب العموم وسلب العموم لايفيد عموم السلب [٦] .

ومن الملاحظ أن الإمام الفخر الرازى قد أجاب بالدليل المنطقى حيث وضح أن سلب وجود الأنصار كما هو واضح فى الآية هو سلب جزئى ، وحكم جزئى لانستطيع أن نعممه على الكل فالسلب فى الآية لايفيد وقوعه على الكل .

٥ - قوله تعالى (ولايشفعون إلا لمن ارتضى) [٧]

---

١ - سورة يونس آية ١٨
٢ - سورة الزمر آية ٣
٣ - سورة الكهف آية ٣٣
٤ - تفسير الفخر الرازى حـ٥ ص٢٠٦ ، ص٢٠٧
٥ - سورة البقرة آية ٢٧٠
٦ - تفسير الفخر الرازى حـ٣ ص٦٥
٧ - سورة الأنبياء آية ٢٨

تعد هذه الآية من أقوى الدلائل على إثبات الشفاعة لأهل الكبائر وليست لنفى الشفاعة عن أهل الكبائر كما أحتجت المعتزلة فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما والضحاك (إلا لمن ارتضى) أى (لمن قال لا إله إلا لله ، وتقريره هو أن من قال لا إله إلا الله فقد أرتضاه تعالى فى ذلك ومتى صدق عليه أنه أرتضاه الله تعالى فى ذلك فقد صدق عليه أنه أرتضاه الله لان المركب متى صدق فقد صدق لامحاله كل واحد من أجزائه ، وإذا ثبت أن الله قد أرتضاه وجب اندراجه تحت هذه الآية فثبت بالتقرير الذى ذكرناه أن هذه الآية من أقوى الدلائل لنا على ماقرره أبن عباس رضى الله عنهما)[1].

ثم ذكر الإمام الجليل سيد قطب (أنهم لايتقدمون بالشفاعة إلا لمن أرتضاه الله ورضى أن يقبل الشفاعة فيه ، وهم بطبيعتهم خائفون الله مشفقون من خشيته على قربهم وطهارتهم وطاعتهم التى لا استثناء فيها ولا انحراف فيها) [2] .

أذن الآية لاتنفى الشفاعة لعصاة المؤمنين ولايمكن أن تكون حجة على ذلك ولكن يفهم منها أن الشفاعة لايملكها أى إنسان ولكن خصص المولى عز وجل لها أناس معينين قد أرتضاهم وأهلهم لذلك ، وعلى تفسير ابن عباس لمعنى (أرتضى) أى من قال لا إله إلا الله أى قول الشهادة يؤكد لنا أن الشفاعة ثابتة لأهل الكبائر لأنهم من أهل لا إله إلا الله محمداً رسول الله وعند تتبع تفسير هذه الآية عند كثير من المفسرين أمثال أبو السعود وابن كثير والكشاف والقاسمى [3] نجدهم يؤيدون بتفسيرهم أن تلك الآية من أقوى الدلائل على أثبات الشفاعة لعصاة المؤمنين .

٦ ـ قوله تعالى [فما تنفعهم شفاعة الشافعين] [4] .

هذه الآية جاءت فى حق الكفار وتخصيصهم بهذه الحال يدل على أن حال المؤمنين خلاف ذلك[5].

ويذكر ابن كثير فى تفسيره لقوله تعالى [ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة

---

١ ـ تفسير الفخر الرازى حـ٢٢ ص١٦

٢ ـ تفسير سيد قطب حـ١٧ ص٢٣٧٥

٣ ـ تفسير ابن كثير حـ٣ ص١٧٦ ، تفسير أبى السعود حـ٣ ص٢٢٩ ، تفسير الكشاف حـ٢ ص٥٦٩ ، تفسير القاسمى حـ١١ ص٤٢٦٤

٤ ـ سورة المدثر آية ٤٨

٥ ـ معالم أصول الدين الرازى ص١٢٦

الشافعين] (١) أن قوله عز وجل (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) أى من كان متصفاً بمثل هذه الصفات فإنه لاتنفعه يوم القيامة شفاعة شافع لأن الشفاعة أنما تنجح إذا كان المحل قابلاً فأما من وافى آلله كافراً يوم القيامة فإنه له النار لا محالة خالداً فيها) (٢) .

٧ - قوله تعالى [يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه] (٣) وقوله تعالى [لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا] (٤) وقوله تعالى [من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه] (٥) .

والآيات تفيد أنه لايشفع عند الله أحد إلا بأمره وأذنه وذلك أن المشركين كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم ، وقد أخبر الله تعالى عنهم بأنهم يقولون (وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) (٦) وقولهم (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) (٧) ثم بين تعالى أنهم لايجدون هذا المطلوب فقال (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولاينفعهم) (٨) فأخبر الله تعالى أنه لاشفاعة عنده لأحد إلا من استثناه الله تعالى بقوله (إلا بإذنه) ونظيره قوله تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) (٩) .

فهذا يدل على أنه ليس لاحد من الخلائق أن يقدم على الشفاعة إلا بإذن من الله تعالى فالآيات لاتنفى حصول الشفاعة لعصاة المؤمنين - كما زعمت المعتزلة - بل تثبتها .

وخلاصة ماتقدم أن ما أحتج به المعتزلة من الآيات القرآنية على أنها تصرح بظاهرها أنه ليس للعصاة من المؤمنين شفاعة فقد رفض أهل السنة التسليم بأن هذه الآيات وأمثالها فى حق المؤمنين والكفار جميعاً ، وقالوا : أنها خاصة بالكفار فقط دون المؤمنين ، ثم قالوا : ولو سلمنا بعمومها فى حق المذنبين من المؤمنين والكفار جميعاً ، فأنه يجب القول بأنها خاصة بالكفار إذ توجد نصوص

---

١ - سورة المدثر آية ٤٢ - ٤٨
٢ - تفسير ابن كثير حـ٤ ص٤٤٧
٣ - سورة يونس آية ٣
٤ - سورة النبأ آية ٣٨
٥ - سورة البقرة آية ٢٥٥
٦ - سورة الزمر آية ٣
٧ - سورة يونس آية ١٨
٨ - سورة يونس آية ١٨
٩ - سورة النبأ آية ٣٨ ، تفسير الفخر الرازى حـ٧ ص٩ ، ص١١

أخرى داله على ثبوت شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم للعصاة من المؤمنين ، أذن فيجب تأويل تلك الآيات وذلك بتخصيها بالكفار جمعاً بين الأدلة [١] .

وقد قال القاضى أبو بكر الباقلانى موجهاً كلامه للمعتزلة والخوارج «أنتم واخوانكم من الخوارج دأبكم دائماً أن تجعلوا آيات العذاب فى أهل الإيمان والتوحيد وهى لأهل الكفر والضلال دون المؤمنين بحمد الله تعالى وهذه الآيات كلها فى أهل الكفر والذى يدل على صحة هذا ماقدمنا من الأخبار الصحاح (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) وغير ذلك من أخبار»[٢] .

ثانياً : موقف أهل السنة من الأحاديث النبوية التى استدلت بها المعتزلة

استدلت المعتزلة ـ كما سبق ـ ببعض الأحاديث على نفى شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الحديث الذى رواه العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبى هريرة القائل (.. فسحقا فسحقا) [٣] وأيضاً الذى رواه عبدالرحمن بن سابط عن جابر بن عبدالله (... لايدخل الجنة لحم نبت من سحت) [٤] وغيرها مما استدل به المعتزلة .

ورأى أهل السنة فى تلك الأحاديث أنها لاتدل على نفى الشفاعة وأنما تدل على أنهم بعدوا عن الكمال البشرى فى الأيمان والطاعة والطهارة والبر ، ويجوز أن يترتب على هذا تأخر مرتبتهم فى الجنة وفى دخولها ولن يكن لهم السبق فى دخولها .

وقد ذكر الإمام النووى مايفيد ذلك فقال «لايدخلها دخول الفائزين حين يدخلها السابقون والأبرار أويطيل حسابه» [٥]

وعلى ذلك يكون المراد من هذه الأحاديث نفى كمال الإيمان لا نفى حقيقة الإيمان ، أذن فلكل منها وجه لو صرفت إليه لصحت ولم تكن معارضة لأخبار الشفاعة ، وكذلك لاحجة فيها على حرمان عصاة المؤمنين من الخروج من النار [٦] .

---

١ ـ شرح العقائد النسفية ص١٢٣ ، شرح مطالع الأنظار ص٢٢٧
٢ ـ الأنصاف الباقلانى ص١٦٤
٣ ـ جاء ذكر هذا الحديث فى ص٢٤
٤ ـ جاء ذكر هذا الحديث فى ص٢٥
٥ ـ شرح الأمام النووى فى صحيح الأمام مسلم حـ٢ ص١١٣
٦ ـ الأنصاف للباقلانى ص١٧٢ ، ص١٧٣

ومما يؤكد ذلك دلالة حديث «أبى ذر» على أن المؤمن الفاسق إذا مات على كلمة التوحيد دخل الجنة فقد روى عن أبى ذر رضى الله عنه قال : «أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ثوب أبيض وهو نائم ، ثم، أتيته وقد استيقظ فقال : مامن عبد قال : لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة . قلت : وأن زنى وأن سرق ؟ قال : وإن زنى وأن سرق ؟ قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبى ذر » (١) .

ومعنى الحديث واضح وهو أن من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ومات ولم يفعل شىء ينافيه أو يعتقد مايخالف ذلك دخل الجنة وأن زنى وأن سرق ، وتخصيص الزنى والسرقة فى الحديث لأن الذنب أما حق للمولى عز وجل ولذلك ضرب له مثلا بالزنى وأما حق للعباد وضرب له مثلاً بأخذ مالا يملكون خفيه بغير حق وهو السرقة .

وقيل أن سبب تكرار أبى ذر السؤال على سبيل الأستبعاد ، والأستغراب لهذا الحكم فكرره ليتحققه ويتثبته أو على سبيل كمال السرور برحمة المولى عز وجل لأنه غفور رحيم وشكراً له على كمال نعمته التى أنعم بها على عباده بغفرانه مثل هذا العصيان - والرغام هو التراب ورغم الأنف هو الصاقة بالأرض والمراد هنا الذلة والأنقياد مع الكراهة ، وكان أبو ذر رضى الله عنه يذكر ذلك تفاخراً وتأكيداً وتحقيقاً لها .

فهذا الحديث وأمثاله يدل ، على أن المؤمن وأن فسق ، أرتكب الكبيرة فأنه يدخل الجنة ، أن شاء الله تعالى أما بعفو الله ومغفرته وكرمة ، وفضله ، وأما بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بعد التعذيب بولوج النار على قدر العصيان (٢)

وبذلك التوفيق قبلنا جميع الأخبار الصحاح ولم نضرب بعضها ببعض ولا أسقطنا بعضها ببعض ، كما فعل اليهود [ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض] (٣) .

أما أعتراض المعتزلة على حديث (شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى) بأنه غير صحيح ويتعارض مع ماروى عن الحسن البصرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «لا تنال شفاعتى أهل الكبائر من أمتى»

---

١ - صحيح الأمام البخارى حـ٤ ص١٣٨

٢ - الدين الخالص حـ٣ ص١٣٧ ، ص١٣٨

٣- سورة النساء أية ١٥٠

فقد أثبت أهل السنة ـ كما سبق ـ صحة حديث (شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى) فهو موجود فى سنن أبى داود الترمذى وابن حنبل وابن ماجه (١) .

وقد ذكر القاضى الباقلانى (٢) : أن من ضمن الأدلة على ثبوت الشفاعة حديث (شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى) وأيضاً قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «خيرت بين أن يدخل شطر أمتى الجنة وبين الشفاعة فأخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفأ اترونها للمؤمنين المتقين لا ، لكنها للمؤمنين الخطائين » (٣) .

أما الحديث الذى ذكره المعتزلة ، معارضين به الأحاديث الأخرى فى جواز الشفاعة لأهل الكبائر من المؤمنين ، وهو مارواه عن الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «لاتنال شفاعتى أهل الكبائر من أمتى» فقد رد عليه القاضى الباقلانى من وجهين : أولاً : أنه لم يرد من الحسن ، وأنه غير صحيح وأنما هو اختلاق وكذب ولا يعارض الأثار الصحاح المتفق على صحتها ، ثانياً : أنه لو كان صحيحاً فيمكن تأويله على أنه أراد به الكبائر التى تخرج من الإسلام ، نحو الكفر بعد الإيمان ، أو استحلال ماحرم الله أوتكذيب بعض الرسل أو بعض الكتب .

فيحمل قوله صلى الله عليه وسلم «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى» فى حق من يبقى على الإيمان حتى يخرج من الدنيا ، ويحمل ماذكروا ـ لو كان صحيحاً ـ على من خرج من الدنيا على غير إيمان (٤).

ثم أدعت المعتزلة (٥) أن هذا الحديث على فرض صحته فهو معارض بأخبار رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى باب الوعيد نحو قوله «لايدخل الجنة نمام ولامدمن خمر ولاعاق» (٦) .

وقوله «من قتل نفسه بحديده فحديدته فى يده يجأ بها بطنه يوم القيامة فى نار جهنم خالداً مخلداً » (٧) إلى غير ذلك

ويجاب عن ذلك أن هذه الأخبار تحمل على من فعل ذلك مستحلا لفعله ، أو فعله على وجه التكذيب

---

١ ـ تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى حـ٧ ص١٢٧ ، سنن أبى داود حـ٧ ص١٢٩ ، سنن أبن ماجه حـ٢ ص١٤٤١
٢ ـ الأنصاف للباقلانى ص١٧٢
٣ ـ سنن زبن ماجه حـ٢ ص١٤٤١
٤ ـ الأنصاف للباقلانى ص١٧١
٥ ـ شرح الأصول الخمسة ص٦٩١
٦ ـ صحيح مسلم حـ٢ ص١١٢، سنن ابن ماجه حـ٢ ص١١٢٠
٧ ـ صحيح مسلم حـ٢ ص١١٨ ، صحيح البخارى حـ٢ ص١٢٠

للصادق فيما أخبر به أن هذا الفعل كبيرة وحرام ، أو أن المراد ليس إيمانه كإيمان المؤمن الذى لم يرتكب المعصية فى كمال البر والطهارة والعفة .

فالمقصود نفى الكمال لانفى حقيقة الإيمان وقال القاضى أنه وعيد لايراد به الوقوع وأنما يقصد به الزجر والردع ونفى الفضيلة والكمال دون الحقيقة فى رفع الإيمان وإبطاله (١)

وعلى ذلك تكون هذه الأخبار غير معارضة لأخبار الشفاعة وكذلك لاحجة لهم فيها على حرمان عصاة المؤمنين من الخروج من النار يقول الفخر الرازى (الجواب على جميع أدلة المعتزلة بحرف واحد وهو أن أدلتهم على نفى الشفاعة تفيد نفى جميع أقسام الشفاعات ، وأدلتنا على إثبات الشفاعة تفيد اثبات شفاعة خاصة والعام والخاص إذا تعارضا قدم الخاص على العام فكانت دلائلنا مقدمه على دلائلهم) (٢) .

فالخطأ الذى وقع فيه المعتزلة هنا هو أنهم طبقوا قياس الغائب على الشاهد، وهذا القياس فضلاً عن أنه قياس فاسد فى باب العقائد فأنه قياس مع الفارق، إذ أن العباد واقعون تحت الشريعة فتقاس أفعالهم بمدى مراعاتهم أو مخالفتهم لتلك الشريعة وليس كذلك الله تعالى إذ ليس فوقه مبيح أو حاظر ، وقد قال تعالى (لايسأل عما يفعل وهم يسألون) (٣) يقول البيضاوى فى تفسيره (لايسأل عما يفعل) لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالألوهية والسلطنة الذاتية وهم يسألون لأنهم مملكون مستعبدون (٤) .

أما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها لزيادة الدرجات فى الجنة (٥) فباطل ومردود لتصريح الأحاديث النبوية الشريفة بأخراج من دخل النار من المؤمنين منها .

فقد ذكر التفتازانى «ولما كان أصل العفو والشفاعة ثابتا بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة والإجماع ، قالت المعتزلة بالعفو عن الصغائر مطلقا ، وعن الكبائر بعد التوبة ، وبالشفاعة لزيادة الثواب . كلاهما فاسد .

أما الأول : فلان التائب ومرتكب الصغيرة المجتنب عن الكبيرة لايستحقان العذاب عندهم ، فلا معنى للعفو .

---

١ - الأنصاف للباقلانى ص١٧٢ ، ص١٧٣
٢ - تفسير الفخر الرازى حـ٣ ص٦٥
٣ - سورة الأنبياء أية ٢١
٤ - تفسير البيضاوى حـ٢ ص٣٣
٥ - الكشاف للزمخشرى حـ١ ص٢٣٧ ، تنزيه القرآن عن المطاعن ص٣٦٧

وأما الثانى : فلأن النصوص الدالة على الشفاعة ، بمعنى طلب العفو عن الجناية (وأهل الكبائر من المؤمنين لايخلدون فى النار) وأن ماتوا من غير توبة لقوله تعالى «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره»(١) ونفس الإيمان عمل خير ، لايمكن أن يرى جزاءه ، قبل دخول النار . ثم يدخل النار فيخلد لأنه باطل بالإجماع ، فتعين الخروج من النار ، ولقوله تعالى «وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار» (٢) ولقوله تعالى «أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا»(٣) إلى غير ذلك من النصوص الدالة على كون المؤمن من أهل الجنة (٤) .

وكذلك الأحاديث الدالة على خروج المؤمنين من النار بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم مثل قوله صلى الله عليه وسلم (خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتى الجنة فأخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى أترونها للمؤمنين المتقين ، لا ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين) (٥) .

فالحديث واضح فى أن الشفاعة حق لعصاة المؤمنين وليست لزيادة الدرجات وأنما هى لإسقاط العذاب عن المذنبين المستحقين للعقاب

وقد أكد ذلك المعنى صاحب الإبانة فى باب الكلام فى الشفاعة والخروج من النار حيث قال (ويقال لهم قد أجمع المسلمون أن الرسول صلى الله عليه وسلم شفاعة - فلمن الشفاعة هى للمذنبين المرتكبين الكبائر أو للمؤمنين المخلصين ؟ فإن قالوا للمذنبين المرتكبين الكبائر وافقوا وأن قالوا للمؤمنين المبشرين بالجنة الموعودين بها قيل لهم : فإذا كانوا بالجنة موعودين وبها مبشرين والله عز وجل وعده لايخلف فما معنى الشفاعة لقوم لايجوز عندكم أن يدخلهم الله جناته ؟ وما معنى قولكم قد استحقوها على الله واستوجبوها عليه ؟ وإذا كان الله عز وجل لايظلم مثقال ذرة كان تأخيرهم عن الجنة ظلما وإنما يشفع الشفعاء إلى الله وعز وجل فى أن لايظلم على مذاهبكم تعالى الله عن افترائكم عليه علوا كبيراً ، فإن قالوا - يشفع النبى صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل فى أن

---

١ - سورة الزلزلة آية ٧
٢ - سورة التوبة آية ٧٢
٣ - سورة الكهف آية ١٠٧
٤ - شرح العقائد النسفية ص١٢٣ ، ص١٢٤
٥ - سنن ابن ماجه حـ٢ ص١٤٤١

يزيدهم من فضله لا فى أن يدخلهم جناته قيل لهم أوليس قد وعدهم الله ذلك ؟ فقال «ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله» (١) والله عز وجل لايخلف وعده فأنما يشفع إلى الله عز وجل عندكم فى أن لايخلف وعده وهذا جهل من قولكم ، وأنما الشفاعة المعقولة فيمن استحق عقاباً أن يوضع عنه عقابه أو فى من لم يعده شيئاً أن يتفضل به عليه فأما إذا كان الوعد بالتفضل سابقاً فلا وجه لهذا (٢) .

وأيد هذا القول الشيخ السيد سابق حيث قال (ثم يشفع الرسول بعد أن يأذن الله له ، وبعد أنتهاء مدة العذاب فى خروج العاصى من النار ، فقد ثبت فى الأحاديث الصحيحة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، يشفع لأهل الكبائر بعد دخولهم النار ، فيتقبل الله شفاعته فيهم ، ويخرجهم منها ، وتكون الشفاعة أظهاراً لكرامة الشافع عند الله ، وأظهار فضله صلى الله عليه وسلم ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لكل نبى دعوة مستجابة يدعو بها ، وأريد أن أختبىء دعوتى شفاعة لأمتى فى الآخرة » وزاد مسلم «فهى نائلة أن شاء الله تعالى من مات من أمتى لايشرك بالله شيئاً » (٣) .

فقد تعددت الروايات فى أثبات أن المؤمن لايخلد فى النار وأن الشفاعة حق لعصاة المؤمنين وليست لزيادة الدرجات وهى كلها أحاديث صحيحة ذكرت فى الأخبار الصحاح .

وعلى ذلك فالشفاعة التى أدخرها صلى الله عليه وسلم للمؤمنين حق وأهل الكبائر من أمته لايخلدون فى النار إذا ماتوا وهم موحدون وأمرهم موكل لله تعالى أن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، وأن شاء عذبهم فى النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى جنته والله أعلم .

---

١ ـ سورة فاطر آية ٣٠

٢ ـ الإبانة الإشعرى ص٦٤

٣ ـ صحيح مسلم حـ٣ ص٧٤ ، وصحيح البخارى حـ٨ ص٨٢

الخـــاتمـــة

الشفاعة ثابتة بالقرآن الكريم والسنة النبوية ، وهى جائزة عقلا ودليل ذلك جواز غفران الذنوب عقلا وسمعا ، قال تعالى [أن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء] (١) فشفاعة المولى عبارة عن عفوه ورحمته ، ولايشفع أحد إلا بإذنه تعالى ورضاه ، وإذن الله تعالى غيب لايعلمه غيره فلا يصح التواكل والأعتماد عليها لأنه لاينفع أحدا فى الآخرة إلا طاعته ورضاه .

وليس معنى الشفاعة أن الله سبحانه وتعالى يرجع عن أرادة كان أرادها لأجل الشافع ، وإنما هى أظهار كرامة للشافع ومنزلته عند ربه بتنفيذ الإرادة الأزلية عقيب دعائه .

وقد أجمعت الأمة على أن لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم شفاعة فى الآخرة ، ولكنهم أختلفوا فى شفاعته صلى الله عليه وسلم لمن تكون ؟ .

فذهب أهل السنة إلى أن شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم تكون فى حق المؤمنين جميعاً وتأثيرها يكون فى إسقاط العذاب عن المذنبين الذين توعدهم الله بالعقاب ، وخالفت المعتزلة جمهور المسلمين من أهل السنة فقالوا أنها للمستحقين للثواب وتأثيرها فى أن تحصل زيادة من المنافع على قدر ما استحقوه

ومذهب المعتزلة قائم على عدم جواز الشفاعة لمن أرتكب كبيرة ومات ولم يتب منها فهو مخلد فى النار ولا يجوز أن يعفو الله تعالى عنه ، ويرتبط موقفهم هذا بالأصل الثالث من أصولهم الخمسة وهو «الوعد والوعيد» فالله تعالى وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب ، وهو تعالى يفعل ماوعد به وتوعد عليه لا محالة ، ولايجوز عليه الخلف والكذب .

ولقد أحتج المعتزلة على مذهبهم هذا بآيات قرآنية استدلوا منها على نفى الشفاعة للعصاة من

---

١ - سورة النساء آية ٤٨

المؤمنين ، إلا أن استدلالهم بهذه الآيات ليست فى محلها ، فقد صرح أهل السنة بأن هذه الأيات نزلت فى شأن الكفار والمشركين ولم ترد فى حق المؤمنين ، ودليل ذلك وجود آيات آخرى داله على ثبوت شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم للعصاة من المؤمنين

وعلى ذلك فمذهب أهل السنة هو المذهب الحق وأن الشفاعة ثابتة للعصاة من المؤمنين ، وأن المؤمن العاصى لايخلد فى النار إذا مات على التوحيد بنص القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، الشريفة ، بل هو فى مشيئة الله أن شاء غفرله وعفا عنه بفضله وأن شاء عذبه فى النار بعدله ، ثم يخرجه من النار برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته .

المراجــــع

(١) القرآن الكريم .

(٢) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى - دار الكتب العلمية .

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل لأبى القاسم الزمخشرى - دار الفكر للطباعة والنشر .

(٤) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير - دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى .

(٥) تفسير روح المعانى للعلامة الألوسى - دار إحياء التراث العربى ببيروت - لبنان .

(٦) تفسير القاسمى للإمام جمال الدين القاسمى - إحياء دار الكتب المصرية الطبعة الأولى سنة ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م .

(٧) فى ظلال القرآن سيد قطب دار الشروق ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

(٨) تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن للإمام شمس الدين القرطبى - دار الغد العربى الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

(٩) تفسير القرآن الحكيم للشيخ رشيد رضا .

(١٠) التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم الشيخ منصور ناصف الطبعة الثالثة ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م .

(١١) فتح البارى بشرح صحيح الإمام البخارى - المطبعة السلفية .

(١٢) صحيح مسلم بشرح النووى - المطبعة المصرية .

(١٣) سنن ابن ماجة - طبعة عيسى البابى الحلبى .

(١٤) الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى - مطبعة مصطفى البابى الحلبى الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م .

(١٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل - المكتب الإسلامى فى الطباعة والنشر .

(١٦) سنن أبى داود الطبعة الأولى ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م مطبعة مصطفى البابى الحلبى .

(١٧) تحفة الأحوذى شرح صحيح الترمذى _ طبعة دار العلم السورية .

(١٨) لسان العرب لابن منظور _ دار المعارف القاهرة .

(١٩) المنجد فى اللغة والإعلام _ دار المشرق بيروت .

(٢٠) النهاية لابن كثير الطبعة الأولى _ دار الكتب الحديثة .

(٢١) الدين الخالص السيد محمد صديق حسن الفتوجى البخارى مكتبة دار العروبة القاهرة .

(٢٢) الشرح الجديد لجوهرة التوحيد الشيخ محمد العدوى طبعة ١٩٤٧م .

(٢٣) شرح التفتازانى على العقائد النسفية دار إحياء الكتب العربية .

(٢٤) شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار _ مكتبة وهبة الطبعة الأولى .

(٢٥) تحفة المريد على جوهرة التوحيد الشيخ البيجورى مطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٣٥٨هـ _ ١٩٣٩م .

(٢٦) المواقف فى علم الكلام الإيجى مكتبة المتنبى _ القاهرة .

(٢٧) قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة للشيخ ابن تيمية مكتبة القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ _ ١٩٦٨م .

(٢٨) كتاب التوحيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب المطبعة السلفية .

(٢٩) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم _ مكتبة السلام العالمية .

(٣٠) الإيمان لابن تيمية _ دار الطباعة المحمدية .

(٣١) مقالات الإسلاميين الأشعرى _ مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٩م .

(٣٢) الإرشاد لإمام الحرمين الجوينى _ مكتبة الخانجى بمصر ١٣٦٩هـ _ ١٩٥٠م .

(٣٣) الملل والنحل للشهر ستانى مطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٣٨٧هـ _ ١٩٦٧م .

(٣٤) تنزيه القرآن من المطاعن للقاضى عبد الجبار .

(٣٥) أحكام عصاة المؤمنين لابن تيمية _ دار الكلمة الطيبة .

(٣٦) الشفاعة العظمى للإمام الفخر الرازى المكتبة الأزهرية للتراث ١٤٠٩هـ _ ١٩٨٩م .

(٣٧) معالم أصول الدين للإمام الفخر الرازى _ مكتبة الكليات الأزهرية .

(٣٨) الأربعين فى أصول الدين للإمام الفخر الرازى _ مكتبة الكليات الأزهرية .

(٣٩) العقائد الإسلامية السيد سابق _ دار الفكر ببيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ _ ١٩٨٣م .

(٤٠) العقيدة النظامية للإمام الحرمين الجوينى _ مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٨م .

(٤١) أصول الدين للإمام عبد القاهر البغدادى _ دار الإفاق الجديدة ببيروت الطبعة الأولى ١٤٠١هـ _ ١٩٨١م .

(٤٢) شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية _ مكتبة المعارف بالرياض ١٤٠٢هـ _ ١٩٨٢م .

(٤٣) الإبانة عن أصول الديانة لأبى الحسن الأشعرى تحقيق د. فوقية حسين _ دار الكتاب للنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٩٨٧م .

(٤٤) شرح مطالع الأنظار على طوالع الأنوار الأصفهانى ط ١ المطبعة الخيرية بمصر ١٣٢٣هـ .

(٤٥) الإنصاف للقاضى أبو بكر الباقلانى _ مؤسسة الخانجى للطباعة والنشر الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ _ ١٩٦٣م .